الهجرة والتدبير الإلهي
بقلم الرئيس العام

اليهود والهجرة النبوية
بقلم رئيس التحرير

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

مسابقة التوحيد الكبرى
مائة جائزة، حج وعمرة
وجوائز أخرى

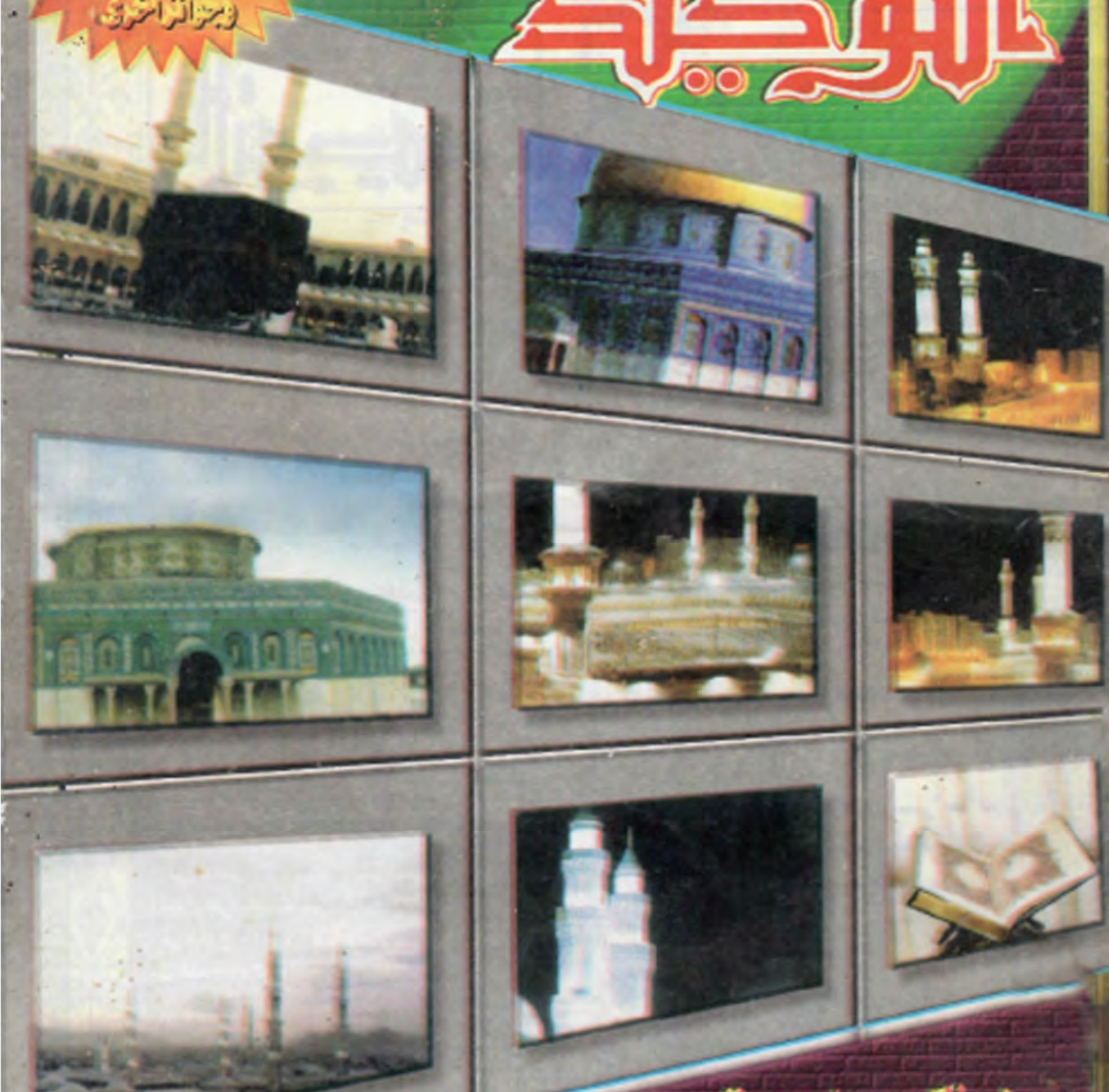

حول ذكرى الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

التحرير

٨ شارع قوله

عابدين - القاهرة

☎ : ٣٩٣٦٥١٧

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات :

☎ : ٣٩١٥٤٥٦

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم : مجلة التوحيد- على مكتب عابدين .

٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالاً سعوديا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب عابدين أو بنك فيصل الإسلامي- فرع القاهرة- باسم: مجلة التوحيد- أنصار السنة (حساب رقم/ ١٩١٥٩٠).

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين

هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام الهجرة والتدبير الإلهي ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير اليهود والهجرة النبوية ٤
باب التفسير: الشيخ عبد العظيم بدوي : وحدة الجنس البشري ١٠
باب السنة: الرئيس العام : جمع القرآن ١٤
موضوع العدد : الشيخ سليمان بن عبد الله الماجد
آفة العلم الهوى ٢٠
حوار التوحيد مع د . علي السالوس : جمال سعد حاتم ٢٤
أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبي إسحاق الحويني ٣٠
الفتاوى : لجنة الفتوى ٣٤
تذكير أهل الطاعة بأقسام الشفاعة : أبو بكر الحنبلي ٣٨
عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة :
أ . محمود المراكبي ٤٢
الرئيس العام في عرفات : جمال سعد حاتم ٤٦
مع صاحب النقب ٤٨
باب السيرة : يوسف عليه السلام
الشيخ عبد الرازق السيد عيد ٥٠
نداء إلى الهيئات والمؤسسات الخيرية ٥٣
من أمراض القلوب : الرياء الشيخ سمير عبد العزيز ٥٤
من روائع الماضي : حول ذكرى الهجرة ٥٨
الصوفية بغير قناع : الشيخ مصطفى درويش ٦٠
مسابقة التوحيد ٦٤

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

مع القراء

تربية النفس

عرف بعض العلماء التواضع فقال :

التواضع هو : ألا يلقى العبد أحدًا من الناس إلاَّ رأى له الفضل عليه ؛ فيقول : عسى أن يكون عند اللَّه خيرًا مني وأرفع درجة .

فإن كان صغيرًا قال : هذا لم يعص اللَّه تعالى ، وأنا قد عصيته فلا شك أنه خير مني .

وإن كان كبيرًا قال : هذا عبد اللَّه قبلي .

وإن كان عالمًا قال : هذا أعطي ما لم أبلغ ونال ما لم أنل ، وعلم ما جهلت ، وهو يعمل بعلمه .

وإن كان جاهلاً قال : هذا عصى اللَّه بجهل ، وأنا عصيته بعلم ، ولا أدري بم يختم لي ، وبم يختم له .

رئيس التحرير

اقرأ في العدد القادم

(إن شاء اللَّه) :

- **جمع القرآن [٢]**
  الشيخ / صفوت نور الدين
- **آفة العلم : الهوى [٢]**
  فضيلة الشيخ
  سليمان عبد الله الماجد
- **الترغيب في التوبة**
  الشيخ / عبد العظيم بدوي

- التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض .

- التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة.

ثمن النسخة : السعودية ٦ ريالات - الإمارات ٦ دراهم - الكويت ٥٠٠ فلس - المغرب دولار أمريكي - الأردن ٥٠٠ فلس - السودان ١.٥٠ جنيه مصري - العراق ٧٥٠ فلس - قطر ٦ ريالات - مصر ٧٥ قرشًا - عمان نصف ريال عماني .

الافتتاحية

الهجرة والتدبير الإلهي

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد لله خلق فسوى وقدر فهدى ، وأنزل الشرع وقدر له البقاء ، وبعث نبيه بالهدى ودين الحق ، وهدى له رجالاً استجابوا لدعوة الحق فقاموا معه خير قيام حتى نشر الله الإسلام في ربوع الأرض.

والله القادر هيأ لدينه الكون وأعده لاستقباله أتم إعداد ، فكان من ذلك حرس طريق الوحي من كل مسترق للسمع : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرسًا شديدًا وشهبًا ۝ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا ﴾ [الجن : ٨، ٩] ، فقدر الله سبحانه لنبيه الكريم ودينه القويم بلدًا لا تغلق أبوابها عن داخل أو خارج - وهي مكة - ليبدأ بدعوته فيها ، فانتشر خبر دعوته إلى الناس في الآفاق ، فسمعوا به ، ولم يستطع من كره دعوته من عظماء مكة ورؤسائهم أن يغلقوا أبواب بلدهم ليمنعوا دعوته من الانتشار ، وكان سبب تقدير رب العالمين أن جعلها بلدًا غير ذي زرع عند بيته المحرم ، فأما غياب الزرع فجعلهم يألفون رحلة الشتاء والصيف ، وأما البيت المحرم فجعل أفئدةً من الناس تهوي إليه ، فبعد أن بلغت الدعوة بمكة مبلغها وتكونت من المؤمنين زمرة طيبة قدر رب العالمين لنبيه عند العقبة من الخزرج من أهل المدينة رجالاً سمعوا منه دعوة فاستجابوا لها ، وقالوا : إنه النبي المبعوث الذي بشرت به يهود ، فلا يسبقنكم إلى اتباعه ، وذلك ما ذكره رب العزة في قوله : ﴿ ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩] ، فكأن الخزرج بل والأوس عرفوا خبر النبي الخاتم من اليهود ، فكان تقدير رب العالمين بوجود اليهود في المدينة بجوار الأوس والخزرج قد هيأ أهل المدينة للترحيب بدين الإسلام ونبي الإسلام ، وكان من أسباب ذلك وجود اليهود ، فقدر الله للناس أن عرفوا الإسلام منهم ، بينما كفروا هم ليستحقوا بذلك العذاب ، وينشر الله دينه ، ويجعل المدينة حرزًا للإسلام والمسلمين .

ومن التدبير الإلهي الذي هيأ اللّه به المدينة لهجرة نبيه الكريم أن كان العداء بين الأوس والخزرج طويلاً ، فنشأ من ذلك العداء أمران هامان جعلا المدينة خير مهد للإسلام بعد مكة ، فكانت دار الهجرة :

الأمر الأول : أن القوم كانوا قد تعلموا فنون الحرب ، وكانوا قد جمعوا الشجاعة والإقدام ، فلما جاء الإسلام ونابذهم الناس العداء قال قائلهم يوم بدر : إنا لصُبر في الحرب صدق عند اللقاء ، لعل اللّه أن يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة اللّه ، فكانوا لا يهابون الحرب ولا يخافون السيوف ، وكانوا شجعانًا فرسانًا ، نصر اللّه بهم دينه ، ورفع بهم لواءه .

الأمر الثاني : أن القوم كانت بينهم مصاهرات ، فإذا وقعت حرب بينهم التقوا بسيوفهم وبينهم الأرحام والقرابات ، فسفكت الدماء بأيديهم على ما بينهم من قرابات ومصاهرات فاشتاقوا لسلم يجمعهم فيكفوا أسلحتهم ، حتى أن البعض منهم قدم عبد اللّه بن أُبي بن سلول ليكون ملكًا عليهم ؛ لأنه استطاع أن يجنب طرفًا من قومه الدخول في أحد هذه الحروب !! فكانوا يقولون للنبي صلى اللّه عليه وسلم في أول لقاء لهم به عند العقبة : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم اللّه بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم اللّه عليك فلا رجل أعز منك .

ومن التدبير الإلهي الذي أهّل اللّه به المدينة لتكون دار هجرة لنبيه الكريم أن كانت المدينة دار فيها زرع يصبر سكانها على حصارها إذا حوصروا ، كما وقع ذلك في « أحد » ، وفي « الأحزاب » ، بينما مكة لا تستطيع الصبر ؛ لأنها غير ذات زرع ، فلا تصبر على حصار .

ولقد سبق ذلك تدبير إلهي طويل في طريق الهجرة ، حيث أخذ اللّه أبصار المحاصرين ، فلم يروا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو خارج حتى وضع التراب على رءوسهم ، ولما دخل إلى الغار وأخذ المشركون يبحثون حتى وصلوا إلى الغار ، ولكن أخذ اللّه بأبصارهم ، فقال أبو بكر : يا نبي اللّه ، لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا ، قال : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين اللّه ثالثهما » . ولما سار خلفهم سراقة بن مالك طمعًا فيما فرضته قريش لمن يأتي بالنبي صلى اللّه عليه وسلم حيًا أو ميتًا ، قال سراقة : ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ، فتكرر ذلك حتى علم أن اللّه يمنعهما منه ، فعاد وهو يقول لمن يبحث عنهما : قد كفيتكما هذا الطريق ليبحثا في طريق غيره .

تلك لمحات يسيرة من الحماية القدرية لطريق هجرة النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وإعداده للمدينة لتكون دار الهجرة للمسلمين : ﴿ واللّه غالبٌ على أمره ﴾ [يوسف : ٢١] ، فمن أطاعه سدد خطاه : ﴿ ومن يتق اللّه يجعل له مخرجًا ۞ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] ، ﴿ ومن يتق اللّه يجعل له من أمره يسرًا ﴾ [الطلاق : ٤] .

واللّه من وراء القصد .

كلمة التحرير

اليهود ..

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

تذكر المصادر التاريخية أن اليهود قد نزحوا إلى الجزيرة العربية سنة ٧٠ م بعد حرب اليهود والرومان ، والتي انتهت إلى خراب بلاد فلسطين ، وتدمير هيكل بيت المقدس .

ومن الثابت في ضوء التاريخ أن اليهود يحبون العداوة والبغضاء حبًّا جَمًّا ! وهم يعادون ويكرهون كل البشر ، حتى إنهم يعادي بعضهم بعضًا ، ويقتل بعضهم بعضًا ؛ يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه « تاريخ اليهود » : « قد كانت هناك عداوة بين بني قينقاع وبقية اليهود ؛ سببها أن بني قينقاع كانوا قد اشتركوا مع بني الخزرج في يوم « بُعاث » ، وقد أثخن بنو النضير وبنو قريظة في بني قينقاع ومزقوهم كل ممزق !! مع أنهم دفعوا الفدية عن كل من وقع في أيديهم من اليهود من الأسرى ! وقد استمرت هذه العداوة بين البطون اليهودية بعد يوم بعاث » .

وقد بين القرآن الكريم هذه العداوة بين اليهود في قول الحق جل وعلا : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تُخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ۞ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أُسارى تفادوهم وهو محرمٌ عليكم إخراجهم ﴾ [البقرة : ٨٤، ٨٥] ، وقد استعمل اليهود الدسائس والمؤامرات والعتو والفساد - كما هي عادتهم دائمًا - في نشر العداوة والشحناء بين القبائل العربية المجاورة ، وكانوا يغرون بعضها على بعض بكيد خفي لم تكن تشعر به القبائل ، فيقعون في حروب دامية متواصلة ، وتظل أنامل اليهود تؤجج نيرانها كلما رأتها تقارب الخمود والانطفاء ، كما قال الله عز وجل : ﴿ كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ﴾ [المائدة : ٦٤] .

يكتبها

رئيس التحرير

صفوت الشوادفي

والهجرة النبوية

❋ وقبل أن يبعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم كان اليهود يعترفون بنبوته ، ويقرون برسالته !! وقد نقل ابن كثير عن ابن إسحاق عن أشياخ من الأنصار أنهم قالوا : كنا قد علونا اليهود قهرًا دهرًا في الجاهلية ! ونحن أهل شرك ، وهم أهل كتاب وهم يقولون : إن نبيًا سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم !! فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به ! ونقل أيضًا عن ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أنه قال : إن يهودًا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ؛ فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء ، وداود بن سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ؛ فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته ، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم !! فأنزل الله في ذلك قوله : ﴿ ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩] ؛ أي اليهود .

وقال أبو العالية : (كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم ؛ فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدًا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم)(١) .

” اليهود يحبون العداء والبغضاء حبًّا جمًّا ويعادون ويكرهون كل البشر . ”

---

(١) ابن كثير (١٣٣/١) .

وهكذا أنكر اليهود النبوة بعد اعترافهم بها ، وجحدوا الرسالة بعد إقرارهم لها ، وكذلك يفعلون في كل عهد ووعد ، فلا يستغرب اليوم من صنيعهم إلا من لا يعرف تاريخهم !

❋ وعندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان الأنصار يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح إلى ظاهر المدينة يترقبون وصوله ويدخلون بيوتهم إذا اشتد الحر ، وكان اليهود يراقبون صنيع الأنصار في قلق واضطراب ، حتى إن أول من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا إلى المدينة رجل من اليهود ! فصرخ اليهودي بأعلى صوته ، وأخبر الأنصار بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كفروا بما أخبرتهم به كتبهم ، وجحدوا ما أقرت به - قبل ذلك - ألسنتهم !!

❋ وقد واصل اليهود جحودهم وإنكارهم للحق - كما يفعلون اليوم - فقد روى البخاري قصة إسلام عبد الله بن سلام ، رضي الله عنه ، وكان حبرًا من كبار علماء اليهود ، ولما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه مسرعًا ، وألقى إليه أسئلة لا يعلمها إلا نبي ، فلما أجابه صلى الله عليه وسلم أعلن إيمانه وتصديقه ، ثم قال : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهت !! إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك ! فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله بن سلام البيت ، واختبأ فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ » فقالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وخيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ » فقالوا : أعاذه الله من ذلك (مرتين أو ثلاثًا) ، فخرج إليهم عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا ، ووقعوا فيه !! فقال : يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت !!

وبمثل هذا المنهج القبيح ينكر اليهود كل عهد ووعد ، ويجحدون كل اتفاق وقعوه ، أو صلح أبرموه !

> " استعمل اليهود الدسائس والمؤامرات والعتو والفساد في نشر العداوة والشحناء بين القبائل العربية . "

ومع وجود الأدلة القاطعة والحجج الدامغة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبوته عند اليهود فإنه لم يدخل منهم في الإسلام سوى (٢٩) رجلاً كان لهم شرف الصحبة في زمن النبوة ، وقد ذكرت أسماؤهم وتراجمهم في كتب طبقات الصحابة : كـ « الإصابة » و« أسد الغابة » وغيرها .

❁ وبعد الهجرة النبوية عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدة مع يهود المدينة ، وكانت بنودها - كما ذكرتها كتب السيرة - على النحو الآتي :

١- إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم كذلك لغير بني عوف من اليهود .

٢- وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم .

٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

٤- وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم .

٥- وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه .

٦- وإن النصر للمظلوم .

٧- وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

٨- وإن يثرب حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة .

٩- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠- وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

١١- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

١٢- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم .

ومع هذا العدل والإنصاف اللذين لا يعرف لهما مثيلٌ في تاريخ الأمم غير المسلمة ، فلم تمض مدة يسيرة على هذه المعاهدة حتى شرع اليهود في نقضها ، وعادوا إلى ما ألفوه من الغدر ، وما أشربته قلوبهم من الخيانة ونقض العهود ، كما يفعلون معنا اليوم سواء بسواء !.

" مع وجود الأدلة القاطعة والحجج الدامغة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبوته عند اليهود فإنه لم يدخل منهم الإسلام سوى ٢٩ رجلا . "

❋ فما أن انتصر المسلمون في غزوة بدر الكبرى حتى قال اليهود لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما واللَّه لئن حاربناك لتعلمنّ أنَّا نحن الناس !! وهل يليق هذا الاستفزاز بقوم وقعوا على معاهدة جاء فيها : وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب !!

❋ ومرت فترة وجيزة ، وفي شوال في السنة الثانية من الهجرة ذهبت امرأة مسلمة بحليها إلى سوق بني قينقاع عند صائغ يهودي ، واجتمع حولها نفر من اليهود يريدون منها كشف وجهها ، فأبت (وتلك رسالتهم العالمية في إفساد المرأة ونشر الرذيلة) ! فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي جالسة غافلة !! فلما قامت انكشفت سوءتها وضحك اليهود منها ! وصاحت المرأة ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، وحاصر المسلمون يهود بني قينقاع حتى استسلموا وأجلاهم الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ، فخرجوا إلى الشام ، كما تذكر كتب السيرة .

❋ وسافر كعب بن الأشرف اليهودي إلى مكة بعد غزوة بدر ليواسي المشركين المهزومين ، ويحرضهم على الثأر ، وكان هذا نقضًا جديدًا للمعاهدة ، وسأله المشركون : أديننا أحب إلى اللَّه أم دين محمد وأصحابه ؟ فقال لهم : أنتم أهدى منهم سبيلاً !! وفيه نزل قول اللَّه : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ [النساء : ٥١] ، وعاد كعب إلى المدينة مظهرًا عداوته للمسلمين حتى إنه كتب قصائد الغزل في بعض النساء المسلمات !! فأهدر النبي صلى اللَّه عليه وسلم دمه ، وقتل .

❋ وبعد غزوة أحد وجد اليهود الفرصة سانحة لمزيد من الغدر والخيانة ؛ فقد حدث أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ذهب إلى منازل بني النضير ليستعين في دفع دية قتيلين قتلهما عمرو بن أمية خطأً مرجعه من بئر معونة ، فأظهر اليهود استعدادهم للمعاونة ، وجلس الرسول صلى اللَّه عليه وسلم إلى جانب جدار ، وخلا يهود بعضهم إلى بعض ليختاروا

> " كانت اليهود تستنصر برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم على مشركي العرب ، فلما بُعث ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدًا للعرب !! "

رجلاً منهم يعلو ظهر البيت ، ويلقى صخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليريحهم منه !! فهل رأى البشر عبر تاريخهم الطويل غدرًا كهذا الغدر ؟ أو خسّة كهذه الخسة ؟

وأخبر الوحي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أضمروه فنهض مسرعًا ، وعاد إلى المدينة ، ولحقه أصحابه الذين كانوا معه ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم أن يخرجوا من المدينة ، وأمهلهم عشرة أيام ، فامتنعوا بإغراء من المنافقين ووعد بنصرهم ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجلاهم عن المدينة .

❋ واستمر اليهود في الدسائس والمؤامرات ؛ فبعد جلاء بني النضير ونفيهم خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود ، وسادات بني النضير إلى قريش يحرضونهم على غزو المدينة ، ووعدوهم بالنصر لهم والمعونة ، ثم ذهب هذا الوفد اليهودي إلى غطفان فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشًا ، فاستجابوا لذلك ، ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم جميعًا إلى غزو المدينة ، وبذلك نجح ساسة اليهود في تعبئة المشركين من مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، حتى احتشدوا جميعًا في غزوة الخندق ! (غزوة الأحزاب) ، أما يهود بني قريظة الذين مازالوا بالمدينة ، فقد غدروا ونقضوا المعاهدة في أصعب الأوقات وأشدها ، فبينما يحاصر المشركون المدينة أحضر يهود بني قريظة الصحيفة التي كتبت فيها المعاهدة فمزقوها !! فلما بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرف حقيقة الأمر قال اليهود : من رسول الله ؟! لا عهد بيننا وبين محمد !! وبعد انتصار المسلمين عوقب اليهود بتهمة الخيانة العظمى في عصرنا ، وكان حكم الله فيهم أن يقتل الرجال ، وتسبى الذرية ، وتقسم الأموال .

وهكذا استراحت المدينة المنورة من شر اليهود .

ورجاؤنا في الله وحده أن يريح فلسطين والقدس الشريف من شرهم ، وما ذلك على الله بعزيز .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

رئيس التحرير

” أنكر اليهود النبوة بعد اعترافهم بها وجحدوا الرسالة بعد اقرارهم لها وكذلك يفعلون في كل عهد ووعد . ”

باب التفسير

وحدة الجنس البشري

بقلم الشيخ / عبد العظيم بدوي

قال تعالى : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا اللَّه الذي تساء لون به والأرحام إن اللَّه كان عليكم رقيبًا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يأيها الناس ﴾ خطاب عام لجميع المكلفين دون تخصيص المؤمنين : ﴿ اتقوا ربكم ﴾ ؛ أي خافوه، واحذروا غضبه وعقابه، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وقد بين سبحانه أن عبادته وحده لا شريك له هي التي تحقق في القلوب تقواها، فقال سبحانه : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ٢١]، فالتقوى ثمرة العبادة من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ونحو ذلك، فمن لم يعبد اللَّه لم يتقه، فاعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا، ثم بين علة التقوى ؛ فقال : ﴿ الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾، فكونه سبحانه خالقنا يقتضي أن نكون نحن عبيده، والعبودية توجب الخضوع والانقياد، والإسلام والاستسلام للرب الخالق، وكونه أوجدنا بعد عدم هذا غاية الإحسان منه إلينا، و ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠] ؟ فتعين علينا أن ندين للَّه خالقنا بالسمع والطاعة، شكرًا له على هذه النعمة العظيمة، فإن كفر النعم الظاهرة البينة قبيح، ولذا قال تعالى منكرًا على الكافرين كفرهم : ﴿ كيف تكفرون باللَّه وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨].

وفي كونه سبحانه خلقنا من نفس واحدة دلالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه ، حيث كان الأصل واحدًا والفروع مختلفة ، كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ [الروم : ٢٢] ، ومن كان كذلك وجب الانقياد لحكمه وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

والنفس الواحدة التي خلقنا اللّه منها هي آدم ، عليه السلام ، وخلق آدم نفسه من تراب معلوم ، وقد نصّ عليه ربنا سبحانه في أكثر من آية ، منها الموجز ، ومنها المفصل ، ومن الموجز قوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ المراد حواء ، خلقها اللّه من ضلع من أضلاع آدم وهو نائم ، فلما استيقظ رآها فمال إليها وألفها ، ولذلك قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « إن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرًا »(1) .

﴿ وبثّ منهما رجالاً كثيرًا ونساءً ﴾ ؛ عن طريق التزاوج المعلوم ، وقد جمع اللّه تعالى في البيان بين خلق الإنسان الأول ونسله ، فقال تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ۞ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ۞ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ [السجدة : ٧- ٩] ، وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين۞ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ۞ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك اللّه أحسن الخالقين ۞ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ۞ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ [المؤمنون : ١٢- ١٦] .

﴿ واتقوا اللّه الذي تساءلون به ﴾ ؛ أي يسأل بعضكم بعضًا باللّه أن يعطيه ، أو يقضي حاجته ، أو يفي بعهده ، ونحو ذلك ، كأن يقول : أسألك باللّه كذا وكذا ، على سبيل الاستعطاف والتراحم ، لما يعلمونه في نفوسهم من تعظيم اللّه الداعي إلى عدم ردّ من سألهم باللّه ، فقال اللّه لهم : ﴿ واتقوا اللّه الذي تساءلون به ﴾ ؛ أي كما عظمتموه بذلك فعظموه بعبادته وتقواه .

وقد كرر الأمر بالتقوى تأكيدًا ، وخالف في الاسم في المرتين ، فقال في الأولى : ﴿ اتقوا ربكم ﴾ ، وقال في الثانية : ﴿ واتقوا اللّه ﴾ ؛ والفرق أن « الرب » لفظ يدل على التربية والإحسان ، و« الإله » لفظ يدل على القهر والهيبة ، فأمرهم بالتقوى بناءً على الترغيب ، ثم أعاد الأمر بها بناءً على الترهيب ، ليجمعوا في عبادته بين الخوف والرجاء ، فيستحقوا المدح والثناء ، كما قال تعالى : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدًا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ۞ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون ۞ فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٥- ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الزمر : ٩] ، فكأنه قال : اتق مخالفة الرب الذي رباك وأحسن إليك ؛ لأنه شديد العقاب ، عظيم السطوة .

﴿ والأرحام ﴾ بالنصب عطفًا على لفظ الجلالة ﴿ اللَّه ﴾ ، والمعنى : واتقوا اللَّه بالتزام طاعته ، واجتناب معصيته ، واتقوا الأرحام بوصلها وعدم قطعها ، فإن اللَّه اشتق اسمها من اسمه ، ووعدها أن يصل من وصلها ، ويقطع من قطعها ، كما في الحديث عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « قال اللَّه عز وجل : أنا الرحمن وهي الرحم ، شققت لها اسمًا من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »(٢) .

وقال صلى اللَّه عليه وسلم : « إن اللَّه خلق الخلق ، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن ، فقال : مه ؟ قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم . أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذلك لك »(٣) .

ثم قال صلى اللَّه عليه وسلم : « اقرءوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ۝ أولئك الذين لعنهم اللَّه فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ [محمد : ٢٢، ٢٣] » .

وصلة الرحم بركة في الرزق ، وطول في العمر ، كما قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « من سره أن يُبسط له في رزقه ، وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه »(٤) .

وفرقٌ بين الصلة والمكافأة ، فالمكافأة أن تصل من وصلك ، وتبر من برك ، وتحسن إلى من أحسن إليك ، أما الصلة فهي أن تصل من قطعك ، وتبر من جفاك ، وتحسن إلى من أساء إليك ، ولذا قال صلى اللَّه عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها »(٥) .

وعن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ ، وأحلُم عليهم ويجهلون عليَّ ، فقال صلى اللَّه عليه وسلم : « لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفُّهُم المَلّ ، ولا يزال معك من اللَّه ظهير عليهم مادمت على ذلك »(٦) .

وقد حذَّر اللَّه ورسوله من القطيعة ، فقال اللَّه تعالى : ﴿ والذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر اللَّه به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ [الرعد : ٢٥] . وقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قاطع »(٧) . يعني قاطع رحم .

ثم ختم اللَّه الآية الكريمة بما يكون كالوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، فقال سبحانه : ﴿ إن اللَّه كان عليكم رقيبًا ﴾ ؛ أي حفيظًا يحفظ على العبد جميع أقواله وأفعاله ، كما في الحديث القدسي : « يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد اللَّه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »(٨) .

وقال تعالى : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في

الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ [يونس : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم إينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن اللَّه بكل شيء عليم ﴾ [المجادلة : ٧] .

وهذا يقتضي أن يُخاف ويُرجى ، وأن يكون المرء دائمًا حذرًا خائفًا فيما يأتي ويدع من الأقوال والأعمال ، وأن يعمل بوصية رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »(٩) .

وبعد : فهذه هي الآية الأولى من سورة « النساء » ، وقد كان النبي صلى اللَّه عليه وسلم يقرأها كل جمعة على المنبر ، بعد حمد اللَّه والثناء عليه ، ولما جاءه قوم عُراة مجتابى النمار أو العباء ، متقلدى السيوف ، عامتهم بل كلهم من مُضَر ، فتمعر وجه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن وأقام ، ثم صلى ، ثم خطب ، فقال : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ إلى آخر الآية . والآية الأخرى التي في آخر « الحشر » : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ [الحشر : ١٨] ، ثم حث صلى اللَّه عليه وسلم على الصدقة(١٠) .

وإنما قرأ صلى اللَّه عليه وسلم هذه الآية بين يدي الحث على الصدقة تذكيرًا لهم بما بينهم وبين هؤلاء الفقراء من وحدة الأصل وأخوة النسب ، فكلهم من نفس واحدة ، فهم جميعًا إخوة ، ويجب على الأخ أن يعطف على أخيه ويحسن إليه ، ويقضي حاجته ، ويسد فاقته .

وسر استفتاح اللَّه تعالى السورة بهذه الآية أنه سبحانه قد ضمن السورة كثيرًا من التكاليف الشاقة على النفوس ، ولا يعين على حملها إلا التقوى والوعيد ، فقال : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ ، وقد أجمل في هذه الآية بعض الأمور ، ثم أتى عليها بالتفصيل في السورة كلها . وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين .

* * *

---

(١) متفق عليه : البخاري (٦/٣٦٣/٣٣١) ، ومسلم (١٤٦٨- ٢/١٠٩١/٦٠) .

(٢) صحيح . رواه أبو داود (٥/١١٢/١٦٧٨) ، والترمذي (٣/٢١١/١٩٧٢) .

(٣) متفق عليه . البخاري (١٠/٤١٧/٥٩٨٧) ، والترمذي (٤/١٩٨٠/٢٥٥٤) .

(٤) صحيح . رواه البخاري (١٠/٤١٥/٥٩٨٥) .

(٥) صحيح . رواه البخاري (١٠/٤٢٣/٥٩٩١) ، وأبو داود (٥/١١٤/١٦٨١) ، والترمذي (٣/٢١١/١٩٧٣) .

(٦) صحيح . رواه مسلم (٤/١٩٨٢/٢٥٥٨) .

(٧) متفق عليه . رواه البخاري (١٠/٤١٥/٥٩٨٤) ، ومسلم (٤/١٩٨١/٢٥٥٦) ، وأبو داود (٥/١١٤/١٦٨٠) ، والترمذي (٣/٢١١/١٩٧٤) .

(٨) صحيح . رواه مسلم (٤/١٩٩٤/٢٥٧٧) .

(٩) صحيح . رواه مسلم (١/٣٦/٨) ، والترمذي (٤/١١٩/٢٧٣٨) ، وأبو داود (١٢/٤٥٩/٢٦٧٠) ، وابن ماجه (١/٢٤/٦٣) ، وأنس (٨/٩٧) .

(١٠) صحيح . رواه مسلم (٢/٧٠٤/١٠١٧) ، وأنس (٥/٧٥) .

جمع القرآن

باب السنة

أخرج البخاري في «صحيحه» عن زيد بن ثابت الأنصاري ، رضي الله عنه - وكان ممن يكتب الوحي - قال : أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، وعنده عمر بن الخطاب فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه ، وإني لأرى أن تجمع القرآن ، فقال أبو بكر : قلت لعمر : كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ، ورأيت الذي رأى عمر ، قال زيد : وعمر عنده جالس لا يتكلم ، فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلان شيئًا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت من سورة «التوبة» آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى ختم براءة إلى آخرها .

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وأخرج البخاري عن زيد بن ثابت الأنصاري أيضًا : لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة «الأحزاب» كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها عند أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، فألحقناها في سورتها في المصحف .

الحديث يبين جمع زيد للقرآن مما كان مكتوبًا فيه من :

العسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض .

واللخاف : جمع لخفة : وهي الحجارة الرقاق أو صفائح الحجارة .

والرقاع : جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو ورق .

وقطع الأديم : الجلد بعد دبغه ، أما قبل دبغه فيسمى إهابًا .

والأكتاف : عظم البعير أو الشاة كان إذا جف كتبوا عليه .

والأضلاع : جمع ضلع ، وهو العظم المعروف .

والأقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

وقعة اليمامة:

كانت فتنة بني حنيفة أصلها في ادعاء مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي، حيث ادعى النبوة، وأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم كتابًا قال فيه: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك. أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشًا قوم يعتدون)، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»، وكان ذلك أواخر سنة عشر من الهجرة، وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم قبل القضاء على فتنة مسيلمة فكانت وقعة اليمامة في آخر السنة الحادية عشرة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها امتدت حتى أول السنة الثانية عشرة، وقد صبر فيها الصحابة صبرًا لم يعهد مثله.

يقول ابن كثير في «فضائل القرآن»: إن مسيلمة التف حوله من المرتدين قريبٌ من مائة ألف، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفًا، فالتقوا معهم، فانكشف الجيش الإسلامي لكثرة من فيه من الأعراب، فنادى القراء من كبار الصحابة: يا خالد خلصنا، يقولون: ميزنا عن هؤلاء الأعراب، فتميزوا منهم وانفردوا، فكانوا قريبًا من ثلاثة آلاف، ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالاً شديدًا وجعلوا يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فارًا، واتبعتهم السيوف المسلمة في أقفيتهم قتلا وأسرًا، وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه، ثم رجعوا إلى الإسلام.

وقد قُتل من المسلمين في هذه الغزوة خمسمائة، وقيل: أربعمائة وخمسون، منهم من المهاجرين والأنصار ثمانية وخمسون رجلا غالبهم من قراء القرآن، أما من قتل من الكافرين فكانوا بضعة وخمسين ألفًا.

ولقد صبر الصحابة في حرب اليمامة صبرًا لم يعهد مثله، وجعل خالد لا يبرز له منهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله، وممن استشهد في هذه الغزوة:

جعفر بن ثابت بن قيس حفر لقدميه بعدما تحنط وتكفن يحمل الراية حتى قتل.

زيد بن الخطاب قال: أيها الناس عضوا على أضراسكم، واضربوا في عدوكم، وامضوا قدمًا، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيدًا، رضي الله عنه.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب، رضي الله عنه.

وممن قتل في هذه الغزوة: حزن بن أبي وهب، جد سعيد بن المسيب، وقتل معه ولداه عبد الرحمن ووهب، وابن ابنه حكيم بن وهب بن حزن.

وقتل سالم مولى أبي حذيفة، أحد الأربعة الذين

جمع القرآن

قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقرئوا القرآن من أربعة » .

وكان أبو دجانة سماك بن خراش ، أحد الشجعان ، ممن اقتحم على بني حنيفة الحديقة ، فانكسرت رجله ، شارك وحشيًا في قتل مسيلمة .

ومنهم الطفيل بن عمرو الدوسي ، الذي أسلمت دوس بدعوته لهم .

أما عباد بن بشر فكان صاحب شجاعة وبلاء شديد ، وكان ذا ورع وعبادة وتهجد .

وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، الذي أسلم قبل دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة والمدينة ، وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عباد بن بشر .

وقد قتل يوم اليمامة أيضًا :

- السائب بن عثمان بن مظعون ، والسائب بن العوام أخو الزبير بن العوام ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وهو ممن أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة ، فلما عاد إلى مكة حبسه أبوه سهيل بن عمرو ، فلما كان يوم بدر خرج معهم ، فلما تواجهوا فر إلى المسلمين ، فشهدها معهم .
- عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان أبوه رأس المنافقين ، وأما هو فمن سادات الصحابة وفضلائهم ، شهد بدرًا وما بعدها ، وكان أشد الناس على أبيه .

ومنهم معمر بن عدي ، وهو أخو عاصم بن عدي ، الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن الخطاب ، ولما قال الناس عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم : وددنا أنا متنا قبله ! قال معمر : لكني والله ما أحب أن أموت قبله لأصدقه ميتًا كما صدقته حيًا .

وممن استشهد يومئذ من الصحابة أيضًا :

- مالك بن عمرو ، وهو من المهاجرين ، وممن شهدوا بدرًا .
- ويزيد بن قيس بن رباب الأسدي (بدري) ، والحكم بن سعيد بن العاص بن أمية .
- وعامر بن البكر الليثي (بدري) ، وصفوان بن أمية بن عمرو ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس السهمي ممن هاجر إلى الحبشة ، وعبد الله بن مخرمة من المهاجرين وممن شهد بدرًا ، وعمارة بن حزم بن زيد (من الأنصار) .

وغيرهم رضي الله عنهم ، كان منهم يوم اليمامة البلاء الحسن والشجاعة النادرة والقتال الشديد ، وإن كان في قتلهم شرخ في الإسلام ، إلا أن الله جعل في ذلك الشرخ خيرًا ، بأن نبه عمر ليشير على الصديق بجمع القرآن ، فجمع ، فالحمد لله الذي جعل من كل شدة تمر بالإسلام خيرًا وحفظًا وتمكينًا ، ومن راجع السيرة والتاريخ في القديم والحديث عرف ذلك ولمسه ، والحمد لله رب العالمين .

من إهانات الله لمسيلمة الكذاب

الله يظهر المعجزات على يد أنبيائه ، شاهد صدق على قولهم ، فلما أراد مسيلمة - لعنه الله - أن يستخف قومه ، فيدعي لهم أنه صاحب آيات معجزة عامله الله بضد مقصوده ، فأظهر الإهانة له في ذلك ، من ذلك أنه بصق في بئر فغاض ماؤها بالكلية ، وفي أخرى فصار ماؤها أجاجًا ، وتوضأ وسقى بوضوئه نخلًا فيبست وهلكت ، وأتى بولدان يبرك عليهم ، فجعل يمسح رءوسهم ، فمنهم من قرع رأسه ، ومنهم من لثغ لسانه ، ويقال : إنه دعا لرجل من أصحابه لوجع في عينيه فمسحهما فعمي .

[« البداية والنهاية » : (جـ٦ ص٣٣١)] .

اتباع مسيلمة

جاء رجل – هو طلحة النمري – من اليمامة إلى مسيلمة الكذاب فسأله : من يأتيك ؟ قال : رجس ، قال : أفي نور أم في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة ، فقال : أشهد أنك كاذب ، وأن محمدًا صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر .

يفسر ذلك لنا أن اتباع مسيلمة لم يكن إيمانًا بنبوته ، ولكن كان لأغراض دنيوية شتى : ﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا ﴾ [الكهف : ١٧] .

إنا نحن نزلنا الذكر

من أقوال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ :

قال الفخر الرازي : قال بعضهم : حفظه بأن جعله معجزًا مباينًا لكلام البشر ، فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه ؛ لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظم القرآن ، فيظهر لكل العقلاء أن هذا ليس من القرآن ، فصار كونه معجزًا كإحاطة السور بالمدينة ؛ لأنه يحصنها ويحفظها .

وقال آخرون : إنه تعالى صانه وحفظه من أن يقدر أحد من الخلق على معارضته .

وقال آخرون : أعجز الخلق عن إبطاله وإفساده ؛ بأن قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه فيما بين الخلق إلى آخر بقاء التكليف .

وقال آخرون : المراد بالحفظ هو أن أحدًا لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا : هذا كذب وتغيير لكلام اللّه تعالى ، حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب اللّه تعالى لقال له الصبيان : أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا ، فهذا هو المراد من قوله : ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ .

واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ ، فما من كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير ، إما في الكثير منه أو في القليل ، وبقاء هذا الكتاب مصونًا عن جميع جهات التحريف ، مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده ، من أعظم المعجزات ، وأيضًا أخبر اللّه تعالى عن بقائه محفوظًا عن التغيير والتحريف ، وانقضى الآن قريبًا من ستمائة سنة ، فكان هذا إخبارًا عن الغيب ، فكان ذلك أيضًا معجزًا قاهرًا . اهـ . كلام الفخر الرازي . [واليوم مضى أكثر من أربعة عشر قرنًا ولا يزال بحمد اللّه محفوظًا كما نزل] .

قال القرطبي في تفسيره عن يحيى بن أكثم : كان للمأمون – وهو أمير إذ ذاك – مجلس نظر ، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب ، حسن الوجه ، طيب الرائحة ، قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة ، قال : فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : إسرائيلي ؟ قال : نعم ، قال له : أسلم حتى أفعل بك وأصنع ، ووعده ، فقال : ديني ودين آبائي ، وانصرف ، قال : فلما كان بعد سنة جاءنا مُسْلمًا ، قال : فتكلم على الفقه فأحسن الكلام ؛ فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال : ألست صاحبنا بالأمس ؟ قال له : بلى ، قال : فما كان سبب إسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان ، وأنت تراني حسن الخط ، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة(١) فاشتُريت مني ، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتُريت مني ، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها للورّاقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها ؛ فعلمت أن هذا كتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي ، قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عُيينة فذكرت له الخبر ، فقال لي : مصداق هذا في كتاب اللّه عز وجل ، قال : قلت : في

---

(١) المعروف أن الكنائس للنصارى ، والبيع لليهود ، فلعله تصحيف أو من قبيل إطلاق كل منهما على الآخر .

جمع القرآن

أي موضع ؟ قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ [المائدة : ٤٤] ، فجعل حفظه إليهم فضاع .

قال السعدي في تفسيره : ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ أي في حال إنزاله وبعد إنزاله ، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم ، وبعد إنزاله أودعه اللّه في قلب رسوله واستودعه في قلوب أمته ، وحفظ اللّه ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص ومعانيه من التبديل ، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض اللّه له من يبين الحق المبين ، وهذا من أعظم آيات اللّه ونعمه على عباده المؤمنين .

قال في «زاد المسير» : ﴿ من بين يديه ومن خلفه ﴾ : فيها ثلاثة أقوال : أحدها : بين يدي تنزيله وبعد نزوله .

الثاني : أنه ليس قبله كتاب يبطله ، ولا يأتي بعده كتاب يبطله .

الثالث : لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم ، ولا في إخباره عما تأخر .

وفي خلافة أبي بكر جمع القرآن زيد وعمر بإشراف الصديق ، رضي اللّه عنهم ، وكان ذلك في أول العام الثاني عشر أما في خلافة عثمان فجمع القرآن زيد بن ثابت ، وعبد اللّه بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقال عثمان لثلاثة القرشيين : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا ، وكان ذلك سنة خمس وعشرين ، وكان نسخًا للصحف التي كتبت في جمع أبي بكر الصديق ، رضي اللّه عنه .

نقل السيوطي عن ابن التين وغيره : الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته ؛ لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءات حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض ، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبًا لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش ، محتجًا بأنه نزل بلغتهم ، وإنْ كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعًا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر ، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة .

فالقرآن الكريم كتاب اللّه الخاتم ، أنزله على نبيه الكريم ، وحمله إليه ملك الوحي جبريل ، وحفظه رب العزة سبحانه ، فهو في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون : ﴿ وما تنزلت به الشياطين ۞ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ۞ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ [الشعراء : ٢١٠- ٢٢٢] ، ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ۞ نزل به الروح الأمين ۞ على قلبك لتكون من المنذرين ۞ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٢- ١٩٥] .

فالقرآن أنزله رب العزة جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ، وكان ذلك في ليلة القدر : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ [الدخان : ٣] ، ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] ، ثم نزل بعد ذلك مفرقًا بحسب الوقائع على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ۞ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٢، ٣٣] .

فكان هذا القرآن ينزل مجيبًا للأسئلة ، هاديًا في الحيرة ، مرشدًا في الظلمة ، منقذًا من الهلكة ، فصلاً في كل أمر احتاجوا فيه إلى بيان .

فيوم شق عليهم الصوم وكان الفطر عند غروب الشمس إلى صلاة العشاء أو النوم وحدث ما حدث من أمور شقت على المسلمين من شدة جوع أو شوق إلى نسائهم أنزل الله قوله : ﴿ أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباس لهنَّ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ولما كانوا في غزوة الحديبية وصلوا الظهر جماعة خلف النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا جميعًا ، توعدهم العدو إذا جاءت صلاة العصر فسجدوا مالوا عليهم ليقتلوهم وهم سجود فقبل أن تأتي صلاة العصر أنزل الله القرآن يرد كيد عدوهم .

أخرج أحمد في « مسنده » عن أبي عباس الزرقي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، فقالوا : لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم ، قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ﴾ [النساء : ١٠٢] ، قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذوا السلاح ، قال : فصفنا خلفه صفين ، قال : ثم ركع فركعنا جميعًا ، ثم رفع فرفعنا جميعًا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، ثم ركع فركعوا جميعًا ، ثم رفع فرفعوا جميعًا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم ثم انصرف ، قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بعسفان ، ومرة بأرض بني سليم[١] .

فكان نزول آيات صلاة الخوف وهم في الميدان لا يعلمون بكيد العدو ، فنزل الوحي بالقرآن ينجيهم الله من كل كيد ويرد كيد عدوهم في نحورهم .

وتأتي خولة بنت ثعلبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجرة عائشة تشكو أن زوجها أوس بن الصامت قد ظاهر منها ، وتجادل النبي صلى الله عليه وسلم في شأنها ، فينزل الله عز وجل فصل قضيتها في الحال بقوله : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ [المجادلة : ١-٤] .

وكذلك لما وقع أهل الإفك في أم المؤمنين ، رضي الله تعالى عنها ، وقالوا ما قالوا ، واحتار النبي صلى الله عليه وسلم ، ووقع الناس في شدة ، وبكت عائشة ، رضي الله عنها ، بكاء شديدًا ، فرّج الله عنهم جميعًا بأن أنزل قوله : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خيرٌ لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ﴾ إلى قوله : ﴿ والله سميع عليم ﴾ [النور : ١٠- ٢٠] .

وتتبع ذلك أمر يطول سرده ويصعب جمعه ، فكان القرآن في نزوله تفريج الهم ، وتوضيح الأمر ، وبيان الدين ، وتصحيح العبادة ، والرد على المشركين ، وتفنيد حجج المبطلين ، وتثبيت المؤمنين .

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى .

---

[١] صلاة الخوف لها عدة هيئات، والحديث يبين هيئة من هيئاتها.

آفة العلم : الهوى

ليس كالهوى أولى بوصف (المرض الخبيث) فإذا كانت (الأورام المستعصية) وصفت بذلك لكونها تنمو في جسد المصاب دون ظهور أية أعراض ، حتى إذا تمكنت وصعب علاجها ظهرت علاماتها وأعراضها ؛ فإن الهوى يذهب بصاحبه إلى ما هو أخطر من ذلك ، وهو غفلته عن مرضه ، حتى بعد ظهور أعراضه واضحة أمام الخلق في صور أقلها قسماتُ الوجه وفلتاتُ اللسان .

بقلم الشيخ / سليمان بن عبد الله الماجد

(القاضي برئاسة مجمع محاكم الإحساء بالمملكة العربية السعودية)

فصاحب هذا الهوى لم يُرَعْ برجفة الموت من حُشاشة خاطرة مؤمنة كانت تجول في صدره كمحتسب تأمره وتنهاه وتحفظه من غيه وترعاه ، خنقت بأبخرة الشهوات وأدخنة الملذات صار القلبُ بعد موت هذه الخاطرة عرصاتٍ موحشةً إلا من نعيق خاطر الفحشاء وهاجس المنكر ، لم يكتف المسكين بموتها حتى آلت به الحال إلى انطماس بصره وعمى بصيرته عن شنائع من القول والفعل يرتكبها بمرأى من الخلق في سكرة الهوى وسَوْرة الشهوة غير عابئ بتغامز الأعداء الشامتين وإطراقة الخجل المُمِضّ من الأصدقاء المشفقين ؛ فقد سرى بصاحبه في فنون ، وأخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون .

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

وقال الشاعر الحكيم :

إذا ما رأيت المر يقتاده الهوى
فقد ثكلته عند ذلك ثواكله

وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه
وقد وجدت فيه مقالاً عواذله
وما يردعُ النفس الحرونَ عن الهوى
من الناس إلا حازمُ الرأي كاملُه

فثماره مرة في الدنيا والآخرة ؛ فما انتشرت أهواء النفوس في أمة من الأمم إلا كانت سببًا لفنائها وذهاب ريحها وقوتها .

● **كيف نتقي الهوى ؟**

حين ترى أن العقلاء يتفقون على أن إسلام القياد للهوى هو طريق هلاك الفرد وذهاب الأمة ؛ إلا أن صاحبه في غمرته يحجب عن الحذر من أسبابه ومعرفة أعراضه وخوف عواقبه ؛ فيبدو لنفسه أنه من أبعد الناس عن الهوى ، وتصبح قضيةُ التجرد من سلطانه دعوى كل إنسان وشعار كل أحد أدى ذلك إلى فرح كل ذي رأي برأيه ، والإعراض كلية عن المخالفين ؛ فينسبهم إلى الخطأ إن لم يرمهم بدائه ؛ داء الهوى .

وليس ثمت عاقل يرضى أن يكون بمكان هذا المدعى ، ولكنه يسأل بلهفة ، ويبحث بلوعة عن وسائل تقيه شر هذا المرض ، ويحذر منه إن أصيب به ليسرع العلاج .

وإنما تكون محاربته والوقاية من شره بتحقيق مقاماتٍ ستٌّ :

● **الأول** : معرفة خطر الهوى في الكتاب والسنة .

● **الثاني** : معرفة حقيقة الهوى .

● **الثالث** : معرفة طبيعة النفس وحاجتها إلى السلامة .

● **الرابع** : معرفة مظان الخطر .

● **الخامس** : معرفة العلامات .

● **السادس** : الاستجابة للنذُر والمبادرة إلى العلاج .

وهذا هو تفصيل مقامات محاربة الهوى :

● **الأول** : معرفة خطر الهوى في الكتاب والسنة :

وقد جاءت في ذلك نصوص كثيرة منها :

قول الله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ [الجاثية : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ ومن أضلُّ ممن اتبع هواه بغير هدًى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] ؛ أي لا أحد أضل منه ، وقول الله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦] ؛ فقد وعظ الله نبيه داود ، عليه السلام ، بالحكم بالحق ، والحذر من اتباع الهوى ، وقول الله تعالى : ﴿ فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإنَّ الجنَّة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٣٧- ٤١] ، وقول الله تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهنَّ ﴾ [المؤمنون : ٧١] ، وقول الله تعالى : ﴿ أفمن كان على بينةٍ من ربه كمن زُين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ [محمد : ١٤] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ... وثلاث مهلكات : هوى متبع ، وشحّ مطاع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه » .

● **الثاني** : معرفة حقيقة الهوى :

اتباع الهوى ؛ شتات الذهن وقلق النفس ، فمن كان عبدًا لله حريصًا على عبادته ومراداته دون سواه ، توحد همه ، واجتمع قصده . ومن كان عبدًا لشهواته وهواه ؛ فإن محبوبات النفس متعددة متفرقة لا يستطيع أن يرضي منها جانبًا إلا كان على حساب الجانب الآخر ؛ لا سيما إذا كان يتعامل فيها مع أحياء متعددين ، فهناك ذو النفوذ ، وهناك الحليلة أو العشيقة ، وهناك الولد ، وهناك المال والشرف ، فكل واحد من هذه الأشياء داعيها في النفس والواقع لا يكل ولا يمل ، فهل يجتمع لهذا هم أو يتوحد له مقصد ؟

والعابد لله وحده المتجرد عن هواه لا بد له أن يتعامل مع هذه الشهوات ؛ لكنه تعاملُ الوسيلة لا تعامل القصد والغاية ، وفرق بين من يتخذ شيئًا وسيلة ومن يتخذه قصدًا وغاية ، فإذا حصلت الغاية لم يبال بأي وسيلة كانت ما دامت لا تغضب ربه .

كما أن هذا العابد المتجرد لا يصاب بالشتات والقلق عند تزاحم هذه المحبوبات ، فمادام همه ووجهه هو الله وحده ، فإنه يقدم أرضاها لله ، ولا يحزن ولا يجزع على ما فوته من هذه المحبوبات عند التزاحم ما دام أنه تركها لله وحده .

أما عابد الهوى ؛ فهو إن أرضى ذا النفوذ أسخط أهل بيته ، وإن أرضاهم أذهب ماله ، وإن أراد المحافظة على ماله سخط عليه ذو النفوذ لانشغاله عنه ، وإن طاوع معشوقته على كل ما تريد أوشك أن يذهب بجاهه ومكانته عند الناس ، وحتى لو كان صاحب الهوى من ذوي النفوذ ، فإنه في قلق من أتباعه ، أقله احتياجه لبعضهم وخوفه من البعض الآخر .

فأصحاب الهوى في قلق دائم ؛ عيون زائغة وقلوب مرتجفة وخطوات أشبه ما تكون بخطوات الأبله المعتوه .

وقد جاءت هاتان الصورتان المتقابلتان في حديث واحد : تعاسة عبد الهوى ، وسعادة عبد الله وحده ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميلة، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع له » .

فالأول عبد الدنيا وشهواتها ، والآخر نذر نفسه مجاهدًا في سبيل الله ، ترك زهرة الدنيا ، فلم يعبأ هل هو في قيادة الجيش أو في مقدمته أو غيرها من الأماكن التي يرى فيها مكانه ويعرف بلاءه ، أو هو في الظل خاملُ الذكر لا يُعرف عند أهل الأرض يؤدي – عند الناس – أقل المهمات وأيسر الأعمال حارسًا أو سائقًا .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له » .

وهذا هو سر الطمأنينة والرضا ، والاستمتاع حتى بالحياة الدنيا عند الصالحين من عباد الله ، لذلك قال قائلهم : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

● **الثالث** : معرفة طبيعة النفس وحاجتها إلى السلامة :

هذا أساس للنجاح في كل درب ؛ فمن عرف نفسه حق المعرفة حملها ما تطيق ، فأفلح ، وإن كانت الأخرى جنبها الأثقال فسلم ، فالنفس البشرية قد جبلت على محبة الشهوات والتعلق بها : ﴿ زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا واللَّه عنده حسن المآب ﴾ [آل عمران : ١٤] ، فإذا علم شيئًا من هذه الفتن يضره كان أعظم حذرًا وأشد حزمًا في تعامله معها .

ألا ترى أن مريضًا علم أن نوعًا من الطعام يزيد من مرضه أو يفضي به إلى هلكة ، وهو عظيم المحبة له شديد التعلق به ، ويرى أن نفسه مع رؤيته بين عذابين ؛ إن أصاب منه فضرر وعاقبة سوء ، وإن امتنع عنه فمشقة وإعنات ، ألا ترى أن عاقلاً هذه حاله يرى من تمام الحكمة عدم مشاهدة المشتهى ، وأن في ذلك كمال الراحة والسرور .

ألم تكن معرفته بحاله وإدراكه لطبيعة نفسه قد أعانته للوصول إلى هذا الموقف الحازم ؟

وأما حاجة النفس إلى السلامة والنجاة فهي أعظم من حاجة الجسد إلى الروح وحاجة كل حي ، سوى اللَّه ، إلى الماء والهواء ، فالسلامة لا يعدلها شيء ، لا سيما وهي سلامة الأبد أو عذاب الأبد .

● **الرابع** : معرفة مظان الخطر :

أما معرفة مظان الخطر ، فهي وقاية ، وهي خير من العلاج . ألا تحس فرقًا وتدرك بونًا بين من دلف إلى بستانه في سور المدينة ، وبين من دخل غابة وحوش أو مسبعة من الشعاب ؟ أيهما يبالغ في الحذر والترقب ، وأيهما يحرص على حمل سلاحه واستنفار أعوانه واستظهار أصحابه ؟

إن كان العقلاء قد اتفقوا على تعيين الحكيم منها ؛ فإن من هؤلاء من يلج مظان الخطر على الدين والاستقامة دون أخذ الحذر وحمل السلاح .

ومواقع خطر الإصابة بمرض الهوى كثيرة منها :

● **المال** : فحصوله فجأة ، أو بالتدريج موقع من مواقع الخطر ؛ فليكن في غاية الحذر .

● **الشرف والجاه** : فبريقه يذهب بعقول ذوي الألباب ، وعنده تكثر المنزلقات ؛ فليحرص على صدق العلاقة بدينه وأن يتخذ من الأنصار والأعوان والمستشارين من يعينه على الحق .

● **شهوة الفرج وفتن الصور الحسنة** : وهذه تكون في من يضطر لغشيان أماكن الفتن ، فلا بد أن يأخذ حذره من المزالق ، ومثله الفتنة بالحليلة ، لا سيما إذا كانت غير صالحة .

● **محبة الولد** : وقد قال فيها النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « الولد ثمرة القلب ، وإنه مجبنة مبخلة محزنة »[1] .

وقد اجتمع في هذه المظان أنها شهوات جامحة يورث هواها وتعلق القلب بها دمارًا شاملاً تعمى لها البصيرة والبصر .

وللحديث بقية إن شاء اللَّه ، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

* * *

---

[1] ضعيف ، انظر ((ضعيف الجامع)) : ٦١٦٥ .

مع الدكتور/على السالوس

أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة جامعة قطر

وفي الحلقة الثانية من الحوار مع الأستاذ الدكتور / علي السالوس نواصل الحديث معه حول الاقتصاد الإسلامي ، وضرورة العودة إلى الحضارة الإسلامية التي تفوقت قديماً على حضارات الفرس والروم .. وأن الدول الإسلامية لكي يكون لها شأن ووزن لا بد وأن تعود إلى إسلامها وإلى دينها في كل نواحي الحياة .. وأن الإسلام قد أكدّ على أنه من أحيا أرضاً ميتة فهي له بلا مقابل ، والآن نجد المساحات الشاسعة بعد أن كانت مزروعة نجدها قد تصحرت وذلك بسبب فرض الدول نظام الإجارة على تلك الأراضي ، فيتركها الناس فتتصحر الأرض . ولو طُبق الإسلام لسعد كل من في الأرض .. وعن الأرزاق وهل الاقتصاد الإسلامي هو علم الأرزاق ، قال فضيلته : إن الأرزاق بيد الله ، وأن الذي يتفرغ للعبادة لا يجوز له أن يأخذ من الزكاة ؛ لأنه متفرغ للعبادة حتى ولو مات جوعاً ؛ لأن الإسلام يجعل العمل عبادة ، وليس معنى ذلك أن يترك العبادة بالكلية ، وإنما وهو يعمل يعبد الله . وإلى الدكتور علي السالوس لنستعرض معه ما جاء على لسانه في الحوار التالي :

عالمية الاقتصاد الإسلامي

□ س : فضيلة الدكتور ؛ كيف يكون المنهج الإسلامي في الاقتصاد منهجاً عالمياً ؟

■ ج : الاقتصاد الإسلامي اقتصاد عالمي أصلاً منذ بعث الرسول صلى اللّه عليه وسلم ؛ لأن الإسلام جاء إلى كل الناس ، ففي العهد المكي عندما كان الرسول صلى اللّه عليه وسلم محاصرا في مكة كانت الدعوة للناس كافة ، فهو منهج عام لكل الناس ، والأحاديث الصحيحة الثابتة التي أخبرنا بها الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى : ((لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، ويقول الشجر والحجر : يا مسلم ، ورائي يهودي تعال فاقتله)) ، وبيان فتح روما بعد أن

■ الاقتصاد الرأسمالي انهار قبل أن ينهار النظام الماركسي، ولكن لم نشعر به لأن دوله مازالت قائمة.

■ الاقتصاد الإسلامي اقتصاد عالمي أصلاً منذ بعث الرسول صلى اللّه عليه وسلم؛ لأن الإسلام جاء إلى الناس كافة.

● لا يجوز لمن يتفرغ للعبادة أن يأخذ من الزكاة حتى لو مات جوعًا؛ لأن الإسلام جعل العمل عبادة.

فتحت القسطنطينية، هذا يعني أن قيادة العالم الآن التي هي في يد اليهود، لا بد أن تتحول للمسلمين متى أصبحوا أهلاً لها، والمسلمون الآن ليسوا أهلاً لها، فالاقتصاد الإسلامي حكم الدول الإسلامية، والتي كانت من المحيط إلى الهند والسند وأوروبا وغيرها، ولم نسمع عن التضخم ولا عن الفقر الشديد مثل هذا؛ لأن الإسلام وضع نظاما يعالج الفقر بطريقة عملية لا يعرفها أي نظام آخر، وما يعرف باسم المشكلة الاقتصادية الإسلام عالجها علاجا جذرياً ووضع لها الأسس التي لا يعرفها أي نظام آخر، حيث جعل نظام تمام الكفاية وليس حد الكفاف كالنظام الماركسي، وتمام الكفاية يكون بالعمل بالنسبة للرجل، أما المرأة فلا تجبر على العمل ولا تكلف بالعمل، وإنما ينفق عليها أقرب الرجال إليها، هذا بنص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من ولي لنا عملا، وليس له مسكنا فليتخذ مسكنا، وليس له زوجة فليتخذ زوجة، وليس له خادما فليتخذ خادما، وليس له دابة فليتخذ دابة))(١).

إذا لا بد أن تهيأ له الدولة المسكن والزوجة والدابة والخادم متى احتاج إلى ذلك، هذا أمر لا يعرفه أي نظام اقتصادي آخر، والزكاة ليس معناها أن

أعطي بضعة قروش أو جنيهات ، وإنما الزكاة معناها أن أعطي من الزكاة ما يأتي بتمام الكفاية ، وتمام الكفاية اختلف حوله الفقهاء ، فبعض الفقهاء قالوا : إن تمام الكفاية لمدة سنة ؛ لأن الزكاة تتكرر ، وبعضهم قال : أعطيه تمام الكفاية مدة عمره ، كيف مدة عمره ؟ أن ننظر هنا إن كان تاجرًا نعطيه مالاً ليتاجر ، وفرقوا بين التاجر الذي يحتاج إلى رأس مال كبير وبين التاجر الذي يحتاج إلى رأس مال صغير ، وإن كان نجارًا نأتي له بأدوات النجارة ، وإذا كان يحسن الزراعة نأتي له بضيعة . وفي الواقع هذا يؤدي إلى تحول الفقير الذي لا يجد ما يكفيه إلى فرد منتج ، ليس في حاجة إلى غيره ، بل ويعطي الزكاة لمن يستحقها .

ويواصل الشيخ حديثه مؤكدًا على أنه لتطبيق هذا النظام العالمي لا بد أن تتكفل الدولة بأخذ الزكاة من أصحابها وصرفها في مصارفها الشرعية ؛ لأنه لا نجاة للبشرية إلا بتطبيق هذا النظام ، فلا يمكن إطلاقًا أن يسعد البشر في الدنيا والآخرة إلا إذا طبق الإسلام ، وسوف يأتي اليوم – إن شاء اللّه – ولكنكم تستعجلون .

العودة إلى الحضارة الإسلامية

□ س : نحن كمسلمين مازلنا نبحث عن الهوية ، خاصة في مجال الاقتصاد ، أملاً في اللحاق بالركب المسمى بالحضارة ، فيكف نعود إلى حضارتنا الإسلامية التي تفوقت قديمًا على حضارات الفرس والروم ؟

■ ج : يقول الدكتور علي السالوس : إن هذا هو ما أشرت إليه من قبل في الاقتصاد الإسلامي ، فالاقتصاد الماركسي قد انهار ، والاقتصاد الرأسمالي انهار أيضًا قبل أن ينهار الاقتصاد الماركسي ، ولكن لم نشعر بانهياره لأن دوله مازالت قائمة ، ولكن كيف انهار ؟ إن النظام الرأسمالي الذي جاء به ((آدم سميث)) ، و ((مالتس)) ، و ((وريكاردو)) هذا النظام يجعل الدولة دولة حارسة لا تتدخل في النظام الإقتصادي .

وتدخل الدولة ليس من طبيعة النظام الرأسمالي ، حيث بين أن الدولة لا دخل لها وذلك لأن النظام الرأسمالي ينظر إلى الإنتاج من حيث الحصول على المال ، ويعتبر الشخص منتجًا بقدر حصوله على المال .

وفي ظل هذا النظام الرأسمالي نجد أن الطبيبة تتقاضى راتبًا قدره مثلاً خمسمائة جنيه ، والمدرسة ثلاثمائة جنيه ، والراقصة خمسة آلاف جنيه وأكثر ، فبقدر الحصول على المال يكون الإنتاج ، فالراقصة أعلى راتبًا ؛ إذن هي أعلى إنتاجًا ، أما ربة البيت التي ترعى أولادها وتربيهم تربية سليمة ، فهذه لا أثر لها ؛ لأنها غير منتجة !!

فعلى الدول الإسلامية إن أرادت أن يكون لها صوت مسموع في خضم هذه الحياة المتلاطمة الأمواج التي لا تسمع إلا صوت القوي أن

تعود إلى دينها وإلى إسلامها ، تعود إلى دينها في الإعلام ، وتعود إلى دينها في التعليم ، وفي جميع مجالات ونواحي الحياة .

عمارة الأرض وحاجة الناس .

ويواصل الشيخ الدكتور السالوس حديثه قائلاً : لقد جعل اللّه سبحانه وتعالى أمة الإسلام أمة وسطا واهتم النظام الإسلامي بإعمار الأرض ، أي ما يُطلق عليه اسم التنمية .

□ س : ما هي كيفية تحقيق هذا المنهج الإسلامي ؟

■ ج : يقول فضيلة الشيخ : إن اللّه تعالى يقول : { هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها } [هود : ٦١] ، أي طلب منكم عمارتها ، والعمارة في الأرض تستدعي النظر إلى حاجة الناس ، ولذلك عندما نجد في العصر الحالي أن دولة من الدول الإسلامية تستورد القمح مثلاً ، ودولة أخرى تصدر الفراولة كفائض ، ويتحدث ابن خلدون عن نقطة معينة لها دلالة ، وهي إذا كثُرَ الناس أو قَلَّ الناس ما أثر هذا ، فإذا زاد عدد السكان فإن الضروريات سعرها ينخفض ، والكماليات سعرها يرتفع ، وإذا قل عدد الناس فالضروريات سعرها يرتفع والكماليات سعرها ينخفض ، لماذا ؟ قال ابن خلدون : لأنه عندما يكثر الناس فإنهم يهتمون بالضروريات ، فالضروريات هي التي لا يمكن أن نعيش بغيرها ، ولا يجوز أن نتجه إلى الكماليات قبل استكمال الضروريات .

فالدولة التي تستورد القمح وهو ضروري وتصدر الفراولة وهي من الكماليات لا تطبق النظام الإسلامي ، فلا بد من إعمار الأرض بما يخدم الناس ويحقق مطالبهم بهذا التقسيم ، وبمنهج الإسلام العمل حق وواجب وثواب ، والصحابة رضوان اللّه عليهم عندما رأوا رجلا جلدًا قويا خرج يسعى ، قالوا : لو كان هذا في سبيل اللّه !! فبين لهم الرسول صلى اللّه عليه وسلم أن هذا لو كان قد خرج يسعى على عياله فهو في سبيل اللّه ، وأما إن كان يسعى رياء وسمعة فهو في سبيل الشيطان ، إذا هنا الثواب وإحساس الإنسان بأنه يعمل فهو في عبادة ، وما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا إلا له ثواب الغرس والزرع ، حتى لو أكل منه طير ، والرسول صلى اللّه عليه وسلم يقول : ((إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)) ، والآن يأتي أحد الناس وهو في سن السبعين ويزرع نخلة وتثمر هذه النخلة بعد عشر سنين ، هل يضمن أن يأكل منها أم لا ، فبقاء النخلة هذه وإنتاجها وأكل الناس منها يثيبه اللّه عليه ، فالمسلم يسعى في حياته ويُثاب ، لأن السعي عبادة ، فمعنى ذلك أنه يتعبد للّه سبحانه وتعالى بعمله ، فيكون عبدًا للّه عند الزرع والحرث والصناعة ، هذا المعنى غير موجود في أي مكان آخر ، ولذلك فتطبيق

النظام الإسلامي بوصفه عمارة الكون معناه أن الكون يعمر فعلاً ، فمثلاً عندنا الآن صحراء كثيرة جدًّا ولا نستغلها ، ونجد دولاً كثيرة تبيع هذه الصحراء لمن يأخذها ، وأحياناً تفرض عليها بعض الضرائب .

وفي الإسلام نجد أن من أحيا أرضاً ميتة فهي له ، بلا مقابل ، إذاً مقابل امتلاك الأرض هو إحياؤها ، والآن نجد الأراضي الشاسعة بعد أن كانت مزروعة نجدها قد تصحرت وذلك بسبب فرض الدول نظام الإجارة على تلك الأراضي ، فتأخذ الأجرة قبل أن تثمر ، فيتركها الناس ، فتتصحر الأرض ، ولكن لو طُبق النظام الإسلامي لسارع الناس إلى عمارة الأرض .

الاقتصاد الإسلامي وعلم الأرزاق

□ س : هل الاقتصاد الإسلامي هو علم الأرزاق ؟

■ ج : الأرزاق بيد اللَّه عز وجل : { وفي السماء رزقكم وما توعدون } [الذاريات : ٢٢] ، والسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، إذا قلنا : إن العمل حق وواجب .

والذي يتفرغ للعبادة لا يجوز أن يأخذ من الزكاة ؛ لأنه متفرغ للعبادة حتى ولو مات جوعا ، الإسلام يجعل العمل عبادة ، وليس معنى ذلك أن يترك العبادة بالكلية ، وإنما وهو يعمل يعبد الله عز وجل ، فإذا ترك العمل إذاً من أين يعيش ؟ هل يحسن إليه الناس ؟ لا يجوز ، لكن هناك نقطة مهمة ، وهي أن الرزق لا يأتي بالعمل فقط ، وإنما بالإيمان والتقوى : { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض } [الأعراف : ٩٦] ، فربط الرزق بالعمل والتوكل على الله والاعتماد عليه سبحانه وتعالى .

والفرق بين المسلم وغير المسلم أن المسلم يعمل ويتوكل على الله ، يعمل ويعلم أن الرزق بيد الله عز وجل : { أفرأيتم ما تحرثون ۞ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون } [الواقعة : ٦٣، ٦٤] أنتم تحرثون نعم ، ولكن من الذي يزرع ؟ أنتم تضعون الحب أيضا ، ولكن من الذي ينبت الحب ؟ هذا معنى التوكل وليس التواكل ، أما أنه لا يعمل ويقول : أنه متوكل ، لا ، بل هذا هو التواكل .

□ س : ما هو دور الزكاة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ؟ وأهم ثمار ذلك ؟

■ ج : الزكاة كما أشرت هي المرحلة الثالثة من مراحل القضاء على المشكلة الاقتصادية أو مشكلة الفقر ، فالزكاة لها أهمية بالغة لكل من المعطي والآخذ ، فالنسبة للمعطي هي تزكية للمال ، وتزكية للنفس : { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها } [التوبة : ١٠٣] ، فلو كنز صاحب المال – المال – ولم يستثمره ، تتعطل وظيفة المال باستغلاله في الحياة ، وأيضا بمرور الحول عليه

تجب فيه الزكاة ، فالزكاة لها أهمية واضحة في تنمية المجتمع واستثمار المال .

□ س : يرى البعض أن المعاملات الاقتصادية أصبحت لغة عالمية ومن الأفضل عدم إخضاعها لأي معتقدات فكرية ، فهي مجرد تعامل في النقود ، فما هو تعقيبكم على ذلك ؟

■ ج : إن الإسلام نظام حياة متكامل جاء لمصلحة الناس في شتى مناحي الحياة ، والاقتصاد أحد هذه النواحي { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين } [الأنعام : ١٦٢] ، ولا يقول بهذا الأمر إلا جاهل معاند ، أو علماني ماكر ، أو ملحد كافر .

فاليهود يسيطرون على النظام العالمي الآن ، ولا مجال فيه لعواطف أو مجاملات ، بل اللغة الوحيدة للتعامل هي المصلحة والربح الأكثر ، فيتعرض الملايين في إفريقيا للموت لحاجتهم للغذاء ، بينما أُتلف المستثمرون في أوروبا وغيرها ملايين الأطنان من الغذاء للمحافظة على ارتفاع الأسعار والخوف من انخفاضها .

لكن الإسلام دين الخير للناس جميعا ، ينتج فيسعد الناس ، ويستثمر فيحيا الناس حياة طيبة كريمة .

والله من وراء القصد ، وانتهى اللقاء على أمل أن نلتقي مع فضيلته في حوار آخر بإذن الله .

جمال سعد حاتم

---

(١)الحديث ضعيف أخرجة أحمد فى مسنده ٤/٢٢٩، ٢٣٠ بأسناد ضعيف ، ضعفه أبو حاتم الرازى فى علله ١/٢١٩.

حديث:- عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما . عن حميد بن عبد الرحمن ، أنه سمع معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، يوم عاشوراء ، عام حج ، على المنبر ، يقول : يا أهل المدينة أين علماؤكم ؟ سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : "**هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب عليكم صيامه ، وأنا صائم ، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر**".

اخرجة البخارى فى : ٣٠-كتاب الصوم : ٦٩- باب صيام يوم عاشوراء.

أسئلة القراء

عن الأحاديث

يجيب عليها :

فضيلة الشيخ :

أبي إسحاق الحويني

● يسأل القارئ : شحاتة أحمد أبو بكر - بني سويف - الشريف أولاً فيقول :

هل صحيحٌ ما رواه أحمد عن أنس ، رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفيكم من ينشدنا ؟ » فقام أعرابيٌّ فقال :

لسعت حيَّةُ الهوى كبدي
فليس لها طبٌّ ولا راق

فتواجد النبي صلى الله عليه وسلم حتى سقط رداؤه ؟

■ فالجواب بعون الملك الوهاب :

● **أن هذا الحديث باطلٌ موضوع** ، وهو من أسمج الكذب وأبرده ، وقد صان الله الإمام أحمد أن يودع مثل هذا الباطل في « مسنده » ، فلم يروه أحمد ولا غيره ، ولم يروه إلا أمثالُ الديلمي ممن يكثرون من تخريج الموضوعات ، وقال أبو موسى المديني : لا أصل لهذا الحديث بهذا السياق ، وذكره ابنُ القيم في « الكلام على مسألة السماع » (ص٣٢٣) ، فقال : وهذا الحديث من الطراز الأول - يعني : موضوع - فليتبوأ واضعُه على رسول الله صلى الله عليه وسلم مقعده من النار ، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : هذا كذبٌ مفترى ، موضوع باتفاق أهل العلم ، قال ابن القيم : وركاكة شعره وسماجته وما تجد عليه من الثقالة من أبين الشواهد على أنه من شعر المتأخرين البارد السمج ، فقبَّح الله الكاذبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● وثانيًا فيقول :

ذكر ابنُ كثير أن رجلاً دعا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم واستغاث وأنشد وطلب الاستغفار ومضى ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أحد الحاضرين في المنام أن ينطلق خلفه فيبشره . فهل هذا صحيحٌ ؟

● والجواب : **أن هذه القصة منكرة** ، ولم يُحسن ابن كثير، رحمه الله ، صنعًا بإيراده هذه القصة في « تفسيره » (٢/٣٠٦) ساكتًا عنها ، وقد بين ابن عبد الهادي في « الصارم المنكى » بطلانها ، فقال ما ملخصه : (هذه الحكاية بعضهم يرويها عن العتبى بلا إسنادٍ ، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي ، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب ، عن أبي الحسن الزعفراني ، عن الأعرابي ، وقد ذكرها البيهقيُّ في كتاب « شعب الإيمان » بإسناد مظلمٍ ، عن محمد بن روح بن يزيد البصري ، حدثني أبو حرب الهلالي قال : حج أعرابيٌّ ، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته فعقلها ، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر .. وذكر نحو ما تقدم) .

● ويسأل القارئ : محمود حسانين - مركز الباجور - محافظة المنوفية - عن درجة هذه الأحاديث :

- الحديث الأول : « صاحب الرمد لا يُعاد » ؟

● الجواب بحول الملك الوهاب : **أن هذا الحديث منكر** ؛ أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٥٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٦/٢٣١٤) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٦/٥٣٥) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٤/٢١٢) ، ومن طريقه ابنُ الجوزي في « الموضوعات » (٣/٢٠٨، ٢٠٩) ، من طريق مسلمة بن علي ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ ، عن أبي جعفر ، عن أبي هريرة مرفوعًا : (ثلاثٌ لا يُعاد صاحبُهنَّ : الرمد ، وصاحب الضرس ، وصاحب الدُّمَّل » ، قال الطبراني : (لم يروِ هذا الحديث عن الأوزاعي إلاَّ مسلمة بن علي) ، وقال ابنُ عدي : (لا أعلم يروي هذا الحديث عن الأوزاعي بهذا الإسناد غير مسلمةَ بن علي) .

● قُلتُ : وهو متروك ؛ وقد خالفه هقل بن زياد ، وهو من أثبت الناس في الأوزاعي ، فرواه عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير من قوله ، أخرجه البيهقي في « الشعب » (٦/٥٣٥) ، وقال : (وهو الصحيحُ) ، وتابعه بقيةَ بن الوليد ، فرواه عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، فلم يجاوزه .

أخرجه العقيليُّ (٤/٢١٢) ، وقال : (هذا أولى) ، ثم أعلم أن هذا الحديث منكرٌ لمخالفته الأحاديث الصحيحة ، والتي فيها أن النبي صلى اللّه عليه وسلم كان يعود الأرمد ؛ منها ما أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/٣٧٥) ، والطبرانيُّ في « المعجم الكبير » (ج٥/ رقم٢٠٥٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦/٥٣٥، ٥٣٦) ، والخطيبُ في « تاريخه » (٨/٤١١) من طريق يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ زيد بن أرقم يقول : أصابني رمدٌ ، فعادني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فلما كان من الغد أفاق بعض الإفاقة ، ثم خرج ولقيه النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال : « أرأيت لو أنَّ عينيك لما بهما ، ما كنت صانعًا ؟ » قال : كنتُ أصبرُ وأحتسب . قال : « أما واللّه لو كانت عيناك لما بهما ، ثم صبرت واحتسبت ، ثم مُتَّ لقيت اللّه عز وجل ولا ذنب لك » . وهذا سندٌ صحيحٌ .

وأخرجه أبو داود (٣١٠٢) ، والحاكمُ (١/٣٤٢) من طريق النفيلي ، ثنا حجاج بن محمد ، ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن زيد بن أرقم قال : عادني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من وجع كان بعيني ، هكذا رواه حجاج مختصرًا ، وقال الحاكمُ : (صحيحٌ على شرط الشيخين) ، ووافقه الذهبيُّ ، وليس كما قالا ، فإن الشيخين لم يخرجا شيئًا للنفيلي واسمه عبد اللّه بن محمد ، عن حجاج بن محمد الأعور ، ولا خرجا شيئًا لحجاجٍ عن يونس ، والصوابُ أن السند صحيحٌ مطلقًا غير مقيد بشرطهما أو شرط أحدهما ، واللّه أعلم .

والحديث حسَّنه المنذري في « تهذيب سنن أبي داود » (٤/٢٧٩) .

● *الحديث الثاني : هل ورد أن النبي صلى اللّه عليه وسلم كان يصعق إذا سمع القرآن ؟*

● الجواب : نعم ورد ؛ **ولكنه لم يصح** . فأخرجه أحمد (ص ٢٧) ، وهناد بن السري (٢٦٧) كلاهما في « كتاب الزهد » ، وأبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٦٤) ، والطبري في « تفسيره » (٢٩/٨٥) كلهم عن وكيع ، وهذا في « كتاب الزهد » (رقم ٢٨) قال : حدثنا حمزة الزيات ، عن حمران بن أعين أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قرأ : ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحيمًا ﴾ [المزمل : ١٢] فصعق ، وخولف وكيع ، خالفه أبو يوسف ، فرواه عن حمزة الزيات .

عن حمران بن أعين ، عن أبي حرب بن أبي الأسود . فذكره .

أخرجه ابنُ عدي في « الكامل » (٨٤٢/٢) ، ومن طريقه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٢٢/١) قال ابنُ عدي : (رُوي هذا الحديث عن أبي يوسف ، عن حمزة ، عن حمران أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يُذكر أبو حرب بن أبي الأسود في الإسناد) . اهـ .

وسنده ضعيفٌ جدًا ، وحمران بن أعين وإن وثقه ابنُ حبان ، فقد قال النسائي : (ليس بثقةٍ) ، وقال ابنُ معين : (ليس بشيءٍ) ، وقال أبو داود : (كان رافضيًا) ، وفوق هذا هو مرسل على الوجهين ، وأعله البيهقي بالإرسال .

وحمزة الزيات هو ابن حبيب ، في حفظه كلامٌ . والله أعلمُ .

● *الحديث الثالث : « الجهاد مختصر طريق الجنة » ؟*

● الجواب : لم أقف عليه ، وذكره ابنُ قدامة في « المغني » (٨/١) بلا إسناد .

● *الحديث الرابع : « أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لي الحديث اختصارًا » ؟*

● الجواب : **هو ضعيف بهذا التمام**

أخرجه أبو أحمد العسكريُ في « كتاب الأمثال » - كما في « إتحاف السادة » (١١٣/٧) للزبيدي من طريق سليمان بن عبد الله النوفلي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال . فذكره . قال الزبيدي : (هو مرسلٌ ، وفي سنده من لم يعرف) ، لكن له طريقٌ آخر ، أخرجه البيهقيُ في « الشعب » (ج٤/ رقم ١٣٦٧) من طريق محمد بن يونس قال : حدثنا شعيب بن بيان الصفار ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن عمر بن الخطاب مرفوعًا : (أُعطيتُ جوامع الكلم ، واختصر لي الحديث اختصارًا) . وسنده ضعيفٌ جدًا ، ومحمد بن يونس هو الكُديمي ، اتهمه أبو حاتم بن حبان وابنُ عدي والدارقطني بوضع الحديث ، وقال الدارقطني : (ما أحسن القول فيه إلا من لم يخبر حاله) ، وقال الذهبي : (أحدُ المتروكين) . وشعيب بن بيان الصفار تكلّم فيه العقيلي في « الضعفاء » (١٨٣/٢) ، فقال : (يحدث عن الثقات بالمناكير ، كان يغلبُ على حديثه الوهم) . وقال الجوزجاني : (له مناكير) ، وعلي بن زيد هو ابنُ جُدعان ضعفوه من قبل حفظه ، وقد خالفه جرير بن حازم ، فرواه عن الحسن أن عمر بن الخطاب ، رضوان الله عليه ، قال : يا رسول الله ، إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا ، وقد هممنا أن نكتبها ، فقال : « يابن الخطاب ، أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهودُ والنصارى ، أما والذي نفس محمدٍ بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ، ولكني أُعطيتُ جوامع الكلم ، واختصر لي الحديث اختصارًا » .

أخرجه ابنُ الضريس في « فضائل القرآن » (٨٩) قال : أنبأ موسى بن إسماعيل ، ثنا جرير ، وهذا الوجه مع انقطاعه فهو أمثل من الوجه الأول ، وقد رأيتَ له طريقًا آخر ، أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (ج٦/ رقم ١٠١٦٣) ، ومن طريقه البيهقيُ في « الشعب » (ج٩ / رقم ٤٨٣٧) عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، مرّ برجلٍ يقرأ كتابًا سمعه ساعةً ، فاستحسنه ، فقال للرجل : أتكتبُ من هذا الكتاب ؟ قال : نعم ، فاشترى أديمًا لنفسه ، ثم جاء به إليه ، فنسخه في بطنه وظهره ، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقرؤه عليه ، وجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتلونُ ، فضرب رجلٌ من الأنصار بيده الكتاب ، وقال : ثكلتك أمُك يا ابن الخطاب ، ألا ترى إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم منذ اليوم وأنت تقرأ هذا الكتاب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « إنما بعثتُ فاتحًا وخاتمًا ، وأعطيتُ جوامع الكلم وفواتحه ، واختصر لي الحديث اختصارًا ، فلا يهلكنكم المتهوكون » . وهذا سندٌ رجاله ثقات ، لكنه منقطع ، وأبو قلابة - واسمه : عبد الله بن زيد الجرمي - لم يدرك عمر بن الخطاب ، رضي

اللّٰه عنه ، وعزاه العراقي في « تخريج الإحياء » (٣٦٧/٢) لـ « عبد بن حميد » بسندٍ منقطع ، وأظنه يعني هذا الطريق ، ولم أجده في « المنتخب من مسنده » ، ولعله في « تفسيره » ، ولكن له طريق آخر عن عمر ، وذكر قصةً قال فيها : فانطلقت أنا فاستنسختُ كتابًا من أهل الكتاب ، ثم جئتُ به في أديم ، فقال لي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « ما هذا الذي في يدك يا عُمر ؟ » قال : قلتُ : يا رسول اللّٰه ، كتابٌ نسختُهُ لنزداد به علمًا إلى علمنا ، فغضب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، حتى احمرت وجنتاه ، ثم نودي بالصلاة جامعة ، فقالت الأنصار : أغضبتم نبيَّكم ، السلاح السلاح ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « يا أيها الناس ، إني قد أوتيتُ جوامع الكلم وخواتمه ، واختصر لي الحديثُ اختصارًا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية ، فلا تتهوكوا ، ولا يغرنكم المتهوكون » . فقال عمر : فقمتُ فقلت : رضيت باللّٰه ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبك رسولاً .

أخرجه أبو يعلى في « المسند الكبير » - كما في « المطالب العالية » (ق١٤٩/٢) - قال : حدثنا عبد الغفار بن عبد اللّٰه ، ثنا عليُّ بن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن خليفة بن قيس ، عن خالد بن عرفطة ، قال : كنت جالسًا عند عمر . فذكره . وسنده ضعيفٌ ، وعبد الرحمن بن إسحاق فضعفوه لكثرة المناكير في حديثه ، وبه أعلَ الحديث الهيثميُّ في « المجمع » (١٧٣/١) ، وقد اختلف عليه فيه كما يأتي ، وخليفة بن قيس مولى خالد بن عرفطة ، قال ابنُ أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٣٧٦/٢/١) : (سألت أبي عنه ، فقال : هو شيخٌ ليس بالمعروف) ، وترجمه البخاريُّ (١٩٢/١/٢) ، وقال : (لم يصح حديثه) ، كأنه يعني هذا ، أمَّا ابنُ حبانٌ فوثقه (٢٠٩/٤) كعادته ! وقد اختلف على عبد الرحمن بن إسحاق في إسناده ومتنه ، فرواه عنه عليُّ بن مسهر كما مرَّ ، وخالفه هشيم بن بشير ، فرواه عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبي بردةَ ، عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا : « أعطيت فواتح الكلم وخواتمه » . قلنا : يا رسول اللّٰه ، علِّمنا مما علمك اللّٰه عز وجل ، فعلَّمنا التشهد .

أخرجه ابنُ أبي شيبة في « المصنف » (ج١١/ رقم ١١٧٨٤) . وأبو يعلى في « مسنده » (ج١٣/ رقم ٧٢٣٨) . والحسن بن عرفة في « جزئه » (٣٣) . ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (ج٤/ رقم ١٣٦٨) . والخطيبُ في « موضح الأوهام » (٤٥٩/٢) . وسنده ضعيفٌ أيضًا .

وله شاهدٌ عن ابن عباس ، رضي اللّٰه عنهما . أخرجه الدارقطنيُّ في « سننه » (١٤٤/٤، ١٤٥) من طريق زكريا بن عطية ، نا سعيد بن خالد ، حدثني محمد بن عثمان ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس مرفوعًا : « أعطيتُ جوامع الكلم ، واختصر لي الحديث اختصارًا » .

قال العراقي في « تخريج الإحياء » (٣٦٧/٢) : (إسناده جيد) ، كذا قال ، فأغرب ! لأن زكريا بن عطية منكر الحديث ، كما قال أبو حاتم .

فيظهر لك من هذا التحقيق أنَ الحديث ضعيفٌ بهذا التمام ، فتعلم بذلك تساهل السيوطي ، إذ حسنه في « الجامع الصغير » ، وتبعه على ذلك العزيزي في « السراج المنير شرح الجامع الصغير » ، كما في « التعليق المغني على الدارقطني » (١٤٥/٤) .

لكن للفقرة الأولى منه شواهد عن جماعةٍ من الصحابة ، منها حديث أبي هريرة في « الصحيحين » ، وله طرق كثيرة عنه ، ومثل حديث علي بن أبي طالب عند البزار (ج٣/ رقم ٢١٣، ٢١٤) ، وأصله عند أحمد (٩٨/١) ، وابن أبي شيبة (٤٣٤/١١) ، والآجري في « الشريعة » (ص ٤٩٨) . وقد اختلف في إسناده . وقد رواه غيرهما من الصحابة الكرام . والعلمُ عند اللّٰه تعالى .

والحمد للّٰه رب العالمين .

الفتاوى

● ويسأل الأخ السائل : م . ن.ع :

توفيت امرأة عن أخت شقيقة وأبناء لأخ شقيق توفي قبلها ، وأبناء أخت توفيت قبلها ؟

● والجواب : أن التركة تقسم كالآتي : الأخت لها النصف فرضًا ، والباقي لأبناء الأخ الشقيق الذكور تعصيبًا ، ولا شيء لبنات الأخ ولا لأبناء الأخت ما لم يوجد وارث آخر لم يذكر في السؤال .

حكم جمع التبرعات أثناء خطبة الجمعة

● ويسأل : أسامة صلاح عبد العظيم السبكي :

عن رجل يقوم لجمع التبرعات أثناء خطبة الجمعة ؟

● والجواب : أن هذا لا يجوز ؛ لأنه لا يجوز الكلام ولا العبث بالحصى والإمام يخطب يوم الجمعة . والله أعلم .

● ويسأل نفس السائل أيضًا :

عن تلاوة آية السجود أثناء ركوب القطار أو غيره ؟

● والجواب : أنه يسجد إن استطاع السجود ، فإن لم يستطع فليست بفريضة . والله أعلم .

الحكم الشرعي في زيارة الأسر بعضها لبعض وجلوس الرجال مع النساء

● وتسأل : سعاد عبد العظيم نور - المنصورة :

ما الحكم الشرعي في زيارة الأسر بعضها لبعض وجلوس الرجال مع النساء غير محجبات والتسامر والضحك ليلا ؟

● والجواب : أن هذا الذي ذكر لا يجوز شرعًا ، فلا تجلس المرأة إلا مع النساء أو الرجال المحارم لها ، والله سبحانه يحرم الخضوع بالقول ، والضحك من الخضوع بالقول .

والله أعلم .

● ويسأل : أحمد يوسف - منشية البكري :

توفيت امرأة وتركت زوجًا وابن أخ شقيق ، وبنات أخ شقيق آخر ؟

● والجواب : أن الزوج يرث النصف فرضًا ، وابن الأخ الشقيق الباقي تعصيبًا ، وبنات الأخ الشقيق ليس لهنَّ شيء .

والله تعالى أعلى وأعلم .

* * *

إعدد لجنة الفتوى بالمركز العام أعضاء اللجنة
رئيس اللجنة / محمد صفوت نور الدين صفوت الشوادفي د . جمال المراكبي

ردود سريعة

● أما السائل : رمزي أحمد عطا اللّه - شبين الكوم :

فنقول له : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فليدعو ربه بما يشاء ، خاصة إذا كان الدعاء يجمع قلبه على لسانه ، فلا يتشتت فكره .

● أما الأخ : أحمد محمد عبد الباقي - عين شمس - القاهرة :

فكتب لنا بحثًا طيبًا في ثلاث عشر صفحة ، يبين فيه ضعف حديث : « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » . وأنه لا ينجبر بالطرق التي جاء بها ويستدرك علينا أننا اكتفينا برأي الشيخ الألباني - حفظه اللّه - في المسألة ، ونحن إذ نشكر له استدراكه وأسلوبه الطيب الذي قدم به رسالته ، ونقبل نقده لنا ، ونسأل اللّه لنا وله التوفيق والسداد ، ونقول مستعينين باللّه تعالى :

إن الردود السريعة التي ننشرها بالمجلة باب استحدثته المجلة لمواجهة الكم الهائل من الرسائل التي تصلنا ونعجز عن الوفاء بالردود عليهم ، ومنها ما يكون فقهيًا ، ومنها ما يكون حديثيًا ، خاصة وأن باب الردود على الحديث باب علمي يصعب على كثير من القراء من غير المتخصصين وراغبي ذلك العلم تتبعه ، والكثير من القراء يريد النتيجة النهائية التي يلتزم بها للعمل ، فهو باب يرشد القارئ فيما يعمل به في المسألة التي سأل عنها .

وحديثنا هذا : « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » . فضلاً عن كلام الشيخ الألباني عنه ، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه اللّه ، فصل الكلام عنه في « مجموع الفتاوى » ، فكان مما قاله قول أكثر السلف أنه إذا سمع قراءة الإمام أنصت ولم يقرأ ، فإن استماعه لقراءة الإمام خير من قراءته ، وإذا لم يسمع قراءته قرأ لنفسه ، والقراءة أفضل من السكوت .

هذا قول جمهور العلماء ؛ كمالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وجمهور أصحابهما ، وطائفة من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة ، وهو القول القديم للشافعي ، وقول محمد بن الحسن (حتى قال) : وفي ذلك الحديث المعروف عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » . وهذا الحديث روي مرسلاً ومسندًا ، لكن أكثر الأئمة الثقات رووه مرسلاً عن عبد اللّه بن شداد ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وأسنده بعضهم ، ورواه ابن ماجه مسندًا ، وهذا المرسل قد عضده ظاهر القرآن والسنة ، وقال به جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين ، ومرسله من أكابر التابعين ، ومثل هذا المرسل يحتَج به باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم ، وقد نص الشافعي على جواز الاحتجاج بمثل هذا المرسل . (انتهى) .

ومن أراد زيادة فليراجع « مجموع الفتاوى » (جـ ٢٣) (ص٢٦٥ - ٣٣٠) . واللّه أعلم .

من فتاوى دار الإفتاء المصرية:

لا يجوز حلق اللحية ، ويحرم حلقها عند أكثر الشافعية (١)

سئل فضيلة الشيخ / جاد الحق علي جاد الحق (رحمه الله) :

بالكتاب ٦٠/٨١ المؤرخ ١٦/٦/١٩٨١ المقيد برقم ١٩٤ سنة ١٩٨١ وبه :

طلب بيان الرأي عن إطلاق الأفراد المجندين اللحى ، حيث إن قسم القضاء العسكري قد طلب الإفتاء بخصوص ذلك الموضوع ، لوجود حالات لديها .

أجاب : إن البخاري روى في « صحيحه » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خالفوا المشركين ، ووفروا اللحى ، واحفوا الشوارب » . وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احفوا الشوارب ، واعفوا اللحى » . وفي « صحيح مسلم » أيضًا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عشرة من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء » . قال بعض الرواة : ونسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة .

قال الإمام النووي في شرحه حديث : « احفوا الشوارب واعفوا اللحى » أنه وردت روايات خمس في ترك اللحية ، وكلها على اختلاف في ألفاظها تدل على تركها على حالها ، وقد ذهب كثير من

---

(١) المفتي : فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق – س ١٠٥ – م ٢٦٧ – ١٩ شعبان ١٤٠١ هـ – ٢١ يونية ١٩٨١ م.

العلماء إلى منع الحلق والاستئصال ، لأمر الرسول صلى اللّه عليه وسلم بإعفائها من الحلق ، ولا خلاف بين فقهاء المسلمين في أن إطلاق اللحى من سنن الإسلام فيما عبر عنه الرسول صلى اللّه عليه وسلم في الحديث السابق الذي روته عائشة : « عشرة من الفطرة » .

ومما يشير إلى أن ترك اللحية وإطلاقها أمر تقره أحكام الإسلام وسننه ما أشار إليه فقه الإمام الشافعي ، منه أنه : (يجوز التعزير بحلق الرأس لا اللحية) . وظاهر هذا حرمة حلقها على رأي أكثر المتأخرين .

ونقل ابن قدامة الحنبلي في « المغني » : أن الدية تجب في شعر اللحية عند أحمد وأبي حنيفة والثوري ، وقال الشافعي ومالك : فيه حكومة عدل .

وهذا يشير أيضًا إلى أن الفقهاء قد اعتبروا التعدي بإتلاف شعر اللحية حتى لا ينبت جناية من الجنايات التي تستوجب المساءلة ، إما الدية الكاملة كما قال الأئمة أبو حنيفة وأحمد والثوري ، أو دية يقدرها الخبراء كما قال الإمامان : مالك والشافعي . ولا شك أن هذا الاعتبار من هؤلاء الأئمة يؤكد أن اللحى وإطلاقها أمر مرغوب فيه في الإسلام ، وأنه من سننه التي ينبغي المحافظة عليها .

لما كان ذلك : كان إطلاق الأفراد المجندين اللحى اتباعًا لسنة الإسلام فلا يؤاخذون على ذلك في ذاته ، ولا ينبغي إجبارهم على إزالتها ، أو عقابهم بسبب إطلاقها إذ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . وهم متبعون لسنة عملية جرى بها الإسلام .

ولما كانوا في إطلاقهم اللحى مقتدين برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لم يجز أن يؤثموا أو يعاقبوا ، بل إن من الصالح العام ترغيب الأفراد المجندين وغيرهم في الالتزام بأحكام الدين ، فرائضه وسننه ، لما في هذا من حفز همتهم ، ودفعهم لتحمل المشاق ، والالتزام عن طيب نفس حيث يعملون بإيمان وإخلاص .

وتبعًا لهذا : لا يعتبر امتناع الأفراد الذين أطلقوا اللحى عن إزالتها رافضين عمدًا لأوامر عسكرية ؛ لأنه – بافتراض وجود هذه الأوامر – فإنها – فيما يبدو – لا تتصل من قريب أو بعيد بمهمة الأفراد ، أو تقلل من جهدهم ، وإنما قد تكسبهم سمات وخشونة الرجال ، وهذا ما تتطلبه المهام المنوطة بهم .

ولا يقال : إن مخالفة المشركين تقتضي – الآن – حلق اللحى ؛ لأن كثيرين من غير المسلمين في الجيوش وفي خارجها يطلقون اللحى ؛ لأنه شتان بين من يطلقها عبادة اتباعًا لسنة الإسلام ، وبين ما يطلقها لمجرد التجمل ، وإضفاء سمات الرجولة على نفسه ، فالأول منقاد لعبادة يثاب عليها ، إن شاء اللّه تعالى ، والآخر يرتديها كالثوب الذي يرتديه ، ثم يزدريه بعد أن تنتهي مهمته .

ولقد عاب اللّه الناهين عن طاعته وتوعدهم : ﴿ أرأيت الذي ينهى ❁ عبدًا إذا صلى ❁ أرأيت إن كان على الهدى ❁ أو أمر بالتقوى ❁ أرأيت إن كذب وتولى ❁ ألم يعلم بأن اللّه يرى ﴾ [العلق : ٩ – ١٤] . واللّه سبحانه وتعالى أعلم .

تذكير أهل الطاعة بأقسام الشفاعة

الشيخ / **أبو بكر بن محمد بن الحنبلي**
أوقاف خورفكان – الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

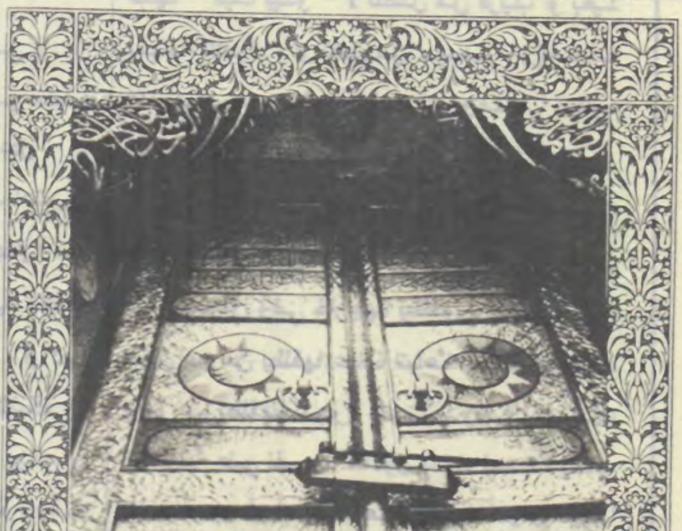

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . ثم أما بعد :

الشفاعات : جمع شفاعة .

تعريف الشفاعة لغة : جعل الشيء شفعاً .

تعريف الشفاعة اصطلاحاً : التوسط للغير بجلب منفعة ، أو دفع مضرة .

مناسبة الشفاعة لاشتقاقها ظاهرة : لأنك إذا توسطت له ، صرت معه شفعاً تشفعه .

مثال توضيحي لتعريف الشفاعة :

أ- شفاعة بدفع مضرة : تتمثل في شفاعة النبي صلى اللّه عليه وسلم لأهل الموقف أن يقضي بينهم .

ب- شفاعة بجلب منفعة : شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة أن يدخلوها .

والشفاعة تنقسم إلى قسمين :

أ- شفاعة باطلة .

ب- شفاعة صحيحة .

أ- فالشفاعة الباطلة : ما يتعلق به المشركون في أصنامهم ، حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند اللّه ، كما قال تعالى : { ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم

ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله } [يونس : ١٨] . ويقولون : { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } [الزمر : ٣] . لكن هذه الشفاعة باطلة لا تنفع ، كما قال تعالى : { فما تنفعهم شفاعة الشافعين } [المدثر : ٤٨] .

ب- الشفاعة الصحيحة : وهي ما جمعت شروطًا ثلاثة :

الأول : رضى الله عن الشافع .

الثاني : رضاه عن المشفوع له ، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ، ومن لم يرض عنهم .

الثالث : إذنه في الشفاعة .

والإذن لا يكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له ، ودليل ذلك قوله تعالى : { وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى } [النجم : ٢٦] ، ولم يقل : عن الشافع ، ولا المشفوع له ؛ ليكون أشمل .

وقال تعالى : { يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً } [طه : ١٠٩] وقال سبحانه : { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } [الأنبياء :٢٨] .

فالآية الأولى : تضمنت الشروط الثلاثة .

والآية الثانية : تضمنت شرطين .

والآية الثالثة : تضمنت شرطًا واحدًا .

وأحب هنا أن أنبِّه عن خطأ يقع فيه بعض المسلمين ، ألا وهو قولهم : (يا محمد ، اشفع لي) ، والصواب أن نقول : اللهم شفع فيَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم ، أو نقول : اللهم ارزقني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو نقول : اللهم لا تحرمني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم .

فالشفاعة ملك لله عز وجل ، ولو أنك دققت النظر وأمعنته وعقلت بقلبك قوله تعالى في أعظم آية في القرآن : { له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } [البقرة : ٢٥٥] ، وجدت أن ذكره جل وعلا - الشفاعة - بعد قوله تعالى : { له ما في السموات } ، يفيد أن هذا الملك الذي هو خاص بالله عز وجل ، أنه ملك تام السلطان ، بمعنى أنه لا أحد يستطيع أن يتصرف ، ولا بالشفاعة التي هي خير ؛ إلا بإذن الله ، وهذا من تمام ربوبيته وسلطانه عز وجل ، وتفيد هذه الجملة أن لله إذنًا ، والإذن في الأصل الإعلام ؛ قال الله تعالى : { وأذانٌ من الله ورسوله } [التوبة : ٣] ؛ أي إعلام من الله ورسوله ، فمعنى : { بإذنه } ؛ أي إعلامه بأنه راضٍ بذلك(١) .

الشفاعات ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعظمها :

أولاً : الشفاعة العظمى يوم القيامة : وهي خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لإراحة الناس من عناء الموقف العظيم ، والدليل على ذلك ؛ عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوة ، فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة(٢) ، وقال : ((أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ،

وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم ، ويأتونه فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة ، فسجدوا لك وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه ، وما بلغنا ؟ فقال : إن ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدًا شكورًا ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما بلغنا ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم ، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى ، فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله ، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وكلّمت الناس في المهد ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم)) .

وفي رواية : ((فيأتوني فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فانطلق ، فآتي تحت العرش ، فأقع ساجدًا لربي ، ثم يَفتَحُ اللهُ عليَّ من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي ، ثم يُقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من

الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)) ، ثم قال : ((والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر))[3] ، أو ((كما بين مكة وبصرى[4]))[5] .

ثانيا : شفاعته صلى الله عليه وسلم في إخراج بعض من دخل النار من الموحدين ، وهذه الشفاعة رد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها ، والدليل على ذلك في الحديث الذي يرويه أبو سعيد وغيره في الشفاعة ، وقوله : ((أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، مثقال حبة من إيمان . .)) .

ثالثا : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ، وفي أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها .

رابعاً : شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات المؤمنين في الجنة .

خامساً : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ويستشهد فى هذا النوع بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، كما ثبت في ((الصحيحين)) .

سادساً : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه ؛ كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه (الذي سيظل في ضحضاح من النار) ، ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في ((الصحيحين)) من حديث العباس بن عبد المطلب : ((ولولا أنا ، لكان في الدرك الأسفل من النار)) .

وليس هذا من أجل شخصية أبي طالب ، لكن من أجل ما حصل من دفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، فإن قيل : قد قال تعالى : { فما تنفعهم شفاعة الشافعين } [المدثر : ٤٨] ، قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار ، كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

سابعاً : شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار ، فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث الكثيرة ، وقد خفي علم ذلك عن الخوارج والمعتزلة ، فخالفوا بذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث ، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعتهم ، وهذه الشفاعة تشاركه فيه الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديقون .وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه : ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) . وهذا الحديث صحيح ، وله طرق وشواهد ، وهو مخرج في ((ظلال الجنة)) . و((المشكاة)) (ص ٥٥٩٨، ٥٥٩٩)[6] .

وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

---

(١) استفدت هذا بتصرف من شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية شرح العلامة ابن عثيمين (جـ١ ص ١٦٩، جـ٢ ص١٦٨، ١٦٩) .

(٢) فنهس منها نهسة ((بالسين)) أي : أخذ بأطراف أسنانه ، وفي رواية أبي ذر بالشين ، وهو قريب من معناه ، كما في ((الفتح)) .

(٣) هجر : بفتح الهاء والجيم : مدينة عظيمة ، وهي قاعدة بلاد البحرين .

(٤) بصرى : بضم الباء وسكون الصاد : مدينة معروفة بحوران ، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل .

(٥) متفق عليه .

(٦) استفدت ما سلف من كتابي ((العقيدة في صفحات)) (ص٢٣، ٢٤) .

عقائد الصوفية
في
ضوء الكتاب والسنة

الصوفية المعاصرة
ووحدة الوجود [٢]

حمدًا للّه وكفى، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى .. وبعد : نكمل ما بدأناه – في الحلقة السابقة – مستعرضين نماذج من شطحات الصوفية وضلالاتهم من خلال أذكارهم وأورادهم :

• *خامس عشر دلائل الخيرات*

ويعد كتاب «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة والسلام على النبي المختار» والمشهور بدلائل الخيرات من أكثر الصلوات انتشارًا بين الطرق الصوفية، وتجتمع حوله الحلقات في المقام الذي يظن الصوفية وكثير من العوام أن فيه رأس الحسين، رضي اللّه عنه، ثم يقرأ المريدون بلسان واحد هذا الكتاب الذي لا يخلو من الإشارة إلى عقيدة وحدة الوجود :

– اللهم صلّ على سيدنا محمد السابق للخلق نوره .

– اللهم صل على سيدنا محمد نور الأنوار وسر الأسرار .

– اللهم صل على سيدنا محمد الذي نوره من نور الأنوار ، وأشرق بشعاع سره الأسرار ، سابق للخلق نوره .

– اللهم صل على من فاضت من نوره جميع الأنوار .

– اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك ، ومعدن أسرارك ، ولسان حجتك ، وعروس مملكتك ، وإمام حضرتك ، وطراز ملكك ، وخزائن رحمتك ، وطريقة شريعتك ، المتلذذ بتوحيدك ، إنسان عين الوجود ، والسبب في كل موجود ، عين أعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك .

هذا وقد توجه أحد المسلمين بسؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء يقولُ فيه : ما حكم كتاب «دلائل الخيرات» ؟ وننقل نص الفتوى رقم (٢٣٩٢) ، والتي جاء فيها : أما كتاب «دلائل الخيرات» فننصحك بتركه ، لما يشتمل عليه

بقلم
أ . محمود المراكبي

من الأمور المبتدعة والشركية ، وفي الوارد في القرآن والسنة غنية عنه .

● **سادس عشر : صلوات الشيخ الأكبر :**

ولا يخفى أن المقصود بالشيخ الأكبر هو ابن عربي الذي نال هذا المقام لاقتباسه نظرية وحدة الوجود ، وإلباسها ثوب النصوص الإسلامية ، وفي أوراده نجد ما يلي :

اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني ، وآخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني ، المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة ، وهو الآن على ما عليه كان ، ونقطة البسملة الجامعة لما يكون ولما كان ، ونقطة الأمر الجوالة بدائرة الأكوان ، سر الهوية التي في كل شيء سارية ، وعن كل شيء مجردة وعارية ، أمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها ومقسمها على حسب القوابل وموزعها ، كلمة السر الأعظم ، الفيض الأقدس الذي تكونت به الأكوان واستعدادتها ، والفيض المقدس الصفاتي الذي تكونت به الأكوان واستمدادها ، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات ، ومنبع الإفاضات في رياض النسب والإضافات ، خط الوحدة بين قوسي الأحدية والواحدية ، وواسطة التنزل من سماء الأزلية إلى أرض الأبدية .

ولا شك أن من يصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات ، لا يتبرأ من وصفه بنور الأنوار في النص التالي :

اللهم إني أسألك بنور الأنوار الذي هو عينك لا غيرك أن تريني وجه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

ويرفع هذا النص النبي صلى الله عليه وسلم إلى مقام الألوهية ، بل هم يزعمون أنه الله ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ونستكمل قراءة الأوراد فنجد النص التالي :

اللهم صل على الذات المطلسم ، والغيث المطمطم ، والكمال المكتم ، لاهوت الجمال ،

وناسوت الوصال، وطلعة الحق، كنز عين إنسان الأزل في نشر من لم يزل، من أقامت به نواسيت الفرق في قاب ناسوت الوصال الأقرب إلى طرق الحق، فصل اللهم به منه فيه عليه وسلم.

اللهم يا من لا أرى سواه، وإن تعددت المظاهر، ولا أناجي إلا إياه وإن كثرت الظواهر، وتعدد تجلياتك في الشهود، وبحرمة ظهورك للبصائر، واحتجابك عن المشاعر، ننقل ما سطره الشيخ نظمًا :

ندعوك مضطرين بالصفات
بمظهر الأسماء بسر الذات
بسر سر الطمس بالعماء
بكنزك المخفي بالهباء
بأول البارز للوجود
من عالم الغيب إلى الشهود
بنقطة الدائرة المشيرة
لوحدة المظاهر الكثيرة

لا يستطيع أحد بعد هذه الأمثلة من الأوراد أن ينفي اعتقاد أشهر الطرق الصوفية المعاصرة في وحدة الوجود، ونستكمل الدراسة بتوفيق الله تعالى لبيان اعتقاد المزيد من الطرق الصوفية.

● **سابع عشر : تائية إبراهيم الدسوقي :**

أشرنا في سلسلة كتبنا « الظاهر والباطن » إلى تائية الدسوقي وشطحاته فيها، وسنكتفي هنا بالنقل عن الدكتور عامر النجار من كتابه « الطرق الصوفية في مصر »، والذي يقرر فيه نفس ما وصلنا إليه ونثبته من خلال هذا الباب، تراه يقول : والمتأمل في أشعار الدسوقي يجد أنه أحد الصوفية القائلين بالحقيقة المحمدية، ونلمس ذلك في هذه التائية الطويلة التي يتضح من خلالها نظرية الحقيقة المحمدية بكل أبعادها عند الدسوقي، وأكثر من ذلك يتضح لنا كيف وصل في شطحه إلى أن يقول :

أتدري من أنا قلت أنت يا
مناي أنا إذ كنت حقيقتي
فقال كذلك الأمر لكننا إذا
تغيبت الأشياء كنت كنسختي

ونلمس وحدة الشهود حين يقول :

وما شاهدت عيني سوى عين ذاتها
لأن سواها لا يلم بفكرتي
بذاتي تقوم الذات في كل ذرة
جدد فيها حلة بعد حلة
أنا موجد الأشياء من غير حاجة
بكرة كون الكون من غير آلتي

ويقول أيضًا :

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته
أنا الواصف الموصوف بذاته

ويستطرد الدكتور النجار حديثه بقوله : لعلي كنت على حق حين اتفقت مع (مارجليث) - اسم أحد المستشرقين في التصوف الإسلامي - في أن الدسوقي ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه الحلاج في شطحه، وعلى الرغم من وجود شبهة القول بالحلول في قصيدة الدسوقي، إلا أنه نفى الحلول بعد ذلك حين قال :

فأوصلت ذاتي باتحادي بذاته
بغير حلول بل بتحقيق نسبتي

ولعل تائية الدسوقي تصور لنا بوضوح الجانب النظري من تصوف الدسوقي وهو يقوم أساسًا على نظرية تنقل النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية،

فالنبي محمد هو في رأي الدسوقي قبضة من نور الله قال لها : كوني محمدًا ، فصارت محمدًا ، ومعنى هذا أن محمدًا ليس بشرًا ، ولكنه جزء من ذات الجزء أو قل من ذات الله تعالى ، كان قبل خلق آدم يحيا كملك في عالم الملكوت ، فلما خلق الله آدم من تراب حلت فيه تلك الحقيقة المحمدية ، ثم انتقلت إلى ابنه شيث ، ثم إلى إدريس ، وهكذا ظلت تلك الحقيقة المحمدية تنتقل من نبي إلى نبي حتى ظهرت في خاتم النبيين محمد العربي ، فلما مات عليه السلام انتقلت تلك الحقيقة أو ذلك النور المحمدي إلى علي ، ثم إلى ابنه الحسن .

وهكذا ظلت تنتقل من قطب إلى قطب حتى ظهر إبراهيم الدسوقي ، فحل فيه ذلك النور ، أو تلك الحقيقة المحمدية ، كما حلت في النبيين من قبل ، ولكنها قد أخذت اسمًا جديدًا في الذين حلت وتحل فيهم بعد النبي محمد ، ويسمى الذي تحل فيه قطبًا ، ومن قبل كان يسمى نبيًا ورسولاً ، ومن هنا نلاحظ أن القطب عند الدسوقي قديم أزلي من حيث الحقيقة الروحية ، وإن كان حادثًا من حيث التشخيص الجسماني ، وهذا هو عين ما ذهب إليه الفاطميون من القول بالمثل والممثول ، فالمثل هو الدسوقي وأحزابه من الأقطاب ، والممثول هو الحقيقة المحمدية الأولية الأبدية القائمة في عالم الملكوت ، ثم إن هذه النظرية القطبانية لا تختلف في شيء عما قررته الفلسفة الأفلاطونية من أن لكل موجود في هذا العالم مثلاً يطابقه في عالم المثل ، أو قل : عالم الملكوت ، فالدسوقي إذن لم يك أحد أولئك المتصوفين الذين بنوا تعاليمهم على الإلهام وحده ، وإنما أفاد في تصوفه إلى حد كبير على النظريات الفلسفية التي مصدرها العقل والتفكير .

والذي يهدم فكرة هؤلاء عن الحقيقة المحمدية دليل نسوقه من جنس أقوالهم ، فتراهم يقولون : إن من حلت فيه الحقيقة المحمدية بعد النبي صلى الله عليه وسلم يسمى قطبًا ، ومن حلت فيه قبل النبي صلى الله عليه وسلم يسمى نبيًا ورسولاً .

فالحجة هنا أن الحقيقة المحمدية كانت في ظهر عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم ومن قبله في ظهر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ، فهل زعم أحد أنهم كانوا أنبياء ومرسلين ؟

نكتفي بهذا القدر ، ونستعرض في المقالة التالية طريقتين من أهم الطرق الصوفية المنتشرة انتشارًا كبيرًا في مصر وإفريقيا وهما الطريقة التيجانية والرفاعية .

فإلى الملتقى – إن كان في العمر بقية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

الرئيس العام في عرفات للحجيج :

أنتم مندوبون عن أمة

مكة المكرمة / جمال سعد حاتم

وسط مشاعر إيمانية فياضة لمئات الآلاف من البشر .. أتوا من كل فج عميق ، لبوا نداء الرحمن .. لا يفرق بينهم لون أو جنسية .. الجميع يتضرعون إلى الله عز وجل .. يطلبون الرحمة والمغفرة .. وكل فرد منهم يأتي مسئولا ومبعوثا من قبل آلاف آخرين من بني قومه يحمل همومهم وآلامهم ، لكي يقف في كل موقف يستحب فيه الدعاء ، ورب العالمين سبحانه أرحم بعباده من الأم بولدها ، وفي لباس واحد يلبسه الوزير والفقير الكل سواء .. همهم واحد ، هو التوسل إلى الله سبحانه طالبين الرحمة والمغفرة ، وهم على يقين بأن المولى سبحانه لن يخذلهم ، وأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

* * *

وفي يوم عرفة ألقى الرئيس العام محاضرة في مخيمات الحجيج (مخيم العساكر) وكان موضوعها : « هموم العالم الإسلامي .. وضرورة استشعار آلام المسلمين » ، وقد قال الشيخ في كلمته إلى الحجيج : إنكم قد جئتم هنا مندوبين عن المسلمين بكل همومهم ، ونحن نشهد اليوم منظرًا لا يتكرر إلا مرة واحد في العام ، وأن المسلم ينبغي أن ينظر إلى نفسه نظرة صحيحة ، فيجب على الإنسان أن ينظر إلى نفسه أولا وإلى النعم التي أنعم بها الله عليه ، والعبد يبدأ يومه بدين عميق وهو دين النعم ، فإذا أفلس العبد في الوفاء لربه فإنه إذا لم يدخل الجنة فإلى نار .

الأمر الثاني : أن توزن عليه الأعمال بميزان : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ❁ ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] ، فالميزان يزن الأعمال بالذرات ، فالكتبة يكتبون كل شيء ، ويأتي الإنسان يوم القيامة فيجد أنه ما من صغيرة أو كبيرة إلا وقد أحصيت عليه ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

ذات جراح .. وذات أمراض

والأمر الثالث : أن الذي يجب أن يتدبره المسلم أن المعاصي والسيئات تدخل على المسلم من باب رؤية العمل ، وعلاج ذلك أن يرى فضل اللّه عليه في العمل ، فيرى أن طاعته نعمة من اللّه تستوجب شكر اللّه ، وأن شكره يستوجب شكرًا آخر . وهكذا ، حتى يرتقي لمرتبة العبودية فيخضع عنقه ووقته للّه سبحانه وتعالى .

رابعًا : أن الذي ينبغي أن تتدبره ، أن الجنة عظيم ثوابها ، وأن النار شديد عقابها ، وأننا لا طاقة لنا بنار الدنيا ، فما بالك بنار الآخرة !!

فيجب على العبد أن ينظر ذلك ويتدبره ، وأن يعلم أن الأعمال أسباب وليست أثمان ، فرب العزة سبحانه عندما يأذن لنا بدخول الجنة فليس ذلك ثمنًا لما كنتم تعملون ، وإنما سببًا لما كنتم تعملون .

فالجنة غالية ، لا نستطيع لها ثمنًا ، وإنما نستطيع لها سببًا ، فنحن مندوبون عن أمة ذات جراح عن أمة ذات أمراض .

وللّه في دهره نفحات وأوقات رحمات ، كرمضان ، ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، وأن أهم هذه الأبواب ما يتفضل به رب العزة سبحانه على عباده يوم عرفة خاصة لمن شهد عرفة مؤديًا الحج .

فالدعاء خير عطاء من العبد لنفسه ولسائر المسلمين ، فإنه لا يستطيع أن يسع الفقراء بعطاء ، ولا الجهلاء بعلم ، وإنما يستطيع أن يسع جميع المسلمين بدعاء إذا استجابه رب العزة سبحانه كفاهم همومًا .

وفي منى يوم النحر كان لقاء الرئيس العام بحشد من المسلمين في (مخيم الراجحي) بعد صلاة الفجر مباشرة ، حيث ألقى فضيلته كلمة ، تحدث فيها عن مدرسة الحج وآثرها في سلوك الإنسان المسلم ، وعرج على فضل اللّه عز وجل على الحجيج أن بلغهم البيت الحرام فهم ينوبون عن الأمة في التوجه إلى اللّه عز وجل بقلب سليم الجميع يبتهلون إلى المولى عز وجل طالبين المغفرة ، والدعاء إلى اللّه سبحانه أن يوفق ولاة الأمور لما يحبه اللّه ويرضاه ، وأن يحسن بطانتهم ، ويحقق على أيديهم الخير للإسلام والمسلمين ، ودعاهم إلى التمسك بكتاب اللّه سبحانه ، وسنة نبيهم صلى اللّه عليه وسلم .

مع صاحب النقب

بقلم الشيخ :
عبد القادر محمد السباعي

لم يكن البذل والعطاء فيهم نظير أجر أو متاع دنيوي فانٍ ، وإنما كان أصلاً متأصلاً في وجدانهم ، كان خلقًا وسلوكًا ودينًا يتقربون به إلى الله رب العالمين ، وإن يكن لهم ثناء حسن بين الناس ، وذكرى عطرة على الألسنة ، فذلك عاجل بشرى المؤمن ، الذي لا يبحث عنه ولا يهتم به ؛ لأن ما عند الله خير وأبقى .

والتاريخ الإسلامي ذاخر بعديد من النماذج والأمثلة التي قلما يجود الزمان بمثلها ، فقد وصلت إلى درجة من الشجاعة والبسالة والإقدام على ما لا يمكن وصفه أو تصويره ، ذلك لأن التاريخ البشري في أزهى عصوره لم يحظ بمثل هذه النماذج السامقة الفريدة .

ونحن أمام واقعة من هذه الوقائع العديدة لشخص لا يعرفه أحد ، فهو لا يستجدي الشرف ، ولا يتسول المجد ، وإنما يتعامل مع رب العالمين ؛ الذي يعلم السر وما هو أخفى ، وبيده العطاء الوفير والفضل الجزيل .

نضع هذه النماذج أمام شبابنا في هذا العصر حتى يدرك حقيقة النجاح ، ويتعرف على مكمن الرجولة الحقة ويتعرف على تاريخ أسلافه وأجداده ويتشبه بهم ويتمثل فعلهم .

هذه الواقعة لرجل مجهول من جنود الجيش الإسلامي الذي خرج إلى وهاد الأرض وشعابها يرفع راية التوحيد ، ويخلص الناس من الظلم والقهر والاستعباد .

وبينما يسير الجيش على هدي من الله تعالى ، ويخرج من نصر إلى نصر أكبر منه ، يقوده القائد الموحد مسلمة بن عبد الملك ، إذ يعترضهم حصن منيع تمركز فيه الأعداء ، وأعدوا فيه العدة لقطع الطريق على المسلمين ، ووقف زحفهم ، وكان ولا بد من اقتحام هذا الحصن والإستيلاء عليه والقضاء على من فيه ، ولكنه تعذر عليهم فتحه ، واستعصى اقتحامه ، وبعد حصار دام وقتًا طويلاً من الزمن دون السيطرة عليه أو التغلب على من فيه أو ظهور أي بارقة أمل لذلك ، شق على المسلمين وأرهقهم ، إذا برجل من عامة الجيش مجهول لا يعرفه أحد ، يدور حول الحصن ويتحايل على جنوده ببراعة فائقة وشجاعة نادرة حتى استطاع وحده أن يحدث في الحصن نقبًا سرعان ما استغله المسلمون في الدخول واقتحام الحصن وفتحه .

وتم النصر في وقت قياسي وسط ذهول القائد مسلمة من

جرأة الجندي المؤمن الذي أراد أن يضحي بحياته في أخطر المواقف وأدقها ، وكيف سلمه اللَّه ونصره لصدق شجاعته وإخلاص نيته ، وحتى لا يهضم حقه ويكون مثالاً لغيره ، أراد القائد إكرامه وتحيته فأمر بالنداء في الجيش : (أين صاحب النقب ؟) فلم يجبه أحد ، ولم يشفع له تكرار النداء في أن يستجيب له أحد ، فعظم ذلك عنده وأخذ يكرر النداء بنفسه وسط صفوف الجيش - الذي كان يخفي بين هذه الصفوف الأفذاذ من الرجال والأتقياء من المؤمنين - فما حضر أحد ، وما جرؤ واحد على نسبة ذلك إليه ، فألح في الرجاء ليبرز له هذا الجندي المجهول التقي النقي ، وناشده اللَّه أن يظهر له ، وله العهد والأمان في كل ما يريد ، وأعطى تعليماته أن يدخل عليه بمجرد الحضور في أي وقت كان .

وبعد أيام طوال ثقال على القائد ومن معه ، استأذن رجل متقنع بثيابه ملثم لا تظهر ملامحه ، وأراد الدخول على القائد مسلمة ، فأذن له على الفور ، وسأله القائد إن كان يعرف صاحب النقب الذي فتح اللَّه عليهم به ؟ فرد قائلاً : نعم أعرفه ، ولكنه يشترط عليك شروطًا ثلاثة ، فإن قبلتها وإلا فلا حاجة لك به ، فأجاب القائد : هي له ، قال الرجل الملثم : أولاً : لا تسودوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة ، ثانيًا : لا تأمروا له بشيء ، ثالثًا : لا تسألوه من هو ، فرد القائد مترددًا : ذاك له ، ولكني أريد أن أراه وانظر إلى محياه ، فأشاح الرجل عن وجهه القناع وأزاح اللثام ، وقال : أنا هو !!

ولم يستطع مسلمة القائد المسلم أمام هذا المشهد الرائع من إنكار الذات ، وصدق الإخلاص للَّه أن يصنع له شيئًا ، لا مكافأة مجزية نظير ما قدمه ، ولا معرفة اسمه ونسبه ، ولا رفع اسمه للخليفة حتى يحظى بما يستحق من التكريم ، إلا أن مسلمة كان كلما انتهى من صلاة ، حتى آخر عمره ، يرفع يديه إلى السماء ويسأل اللَّه تعالى قائلاً : (اللهم اجعلني يوم القيامة مع صاحب النقب) .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين ، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

* * *

وقفات مع القصة في كتاب الله

يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر

بقلم : **عبد الرزاق السيد عيد**

﴿ولقد همت به وهم بها﴾

الحمد لله الذي يتولى عباده الصالحين برحمته ، ويدفع عنهم كيد الكائدين بقدرته ، والصلاة والسلام على المصطفى رحمة وهداية للناس كافة ، وبعد :

رأينا في اللقاء السابق كيف راودت التي هو في بيتها فتاها عن نفسه ، وقد تدرجت في ذلك من مرحلة إلى أخرى ، فبدأت بعرض مفاتنها على يوسف ، عليه السلام ، مستخدمة ما تملك من وسائل ، وقد ساعدها على ما فعلت ما تمتعت به من منصب وجمال ، ولكنها لم تجد من يوسف ، عليه السلام ، اهتمامًا ولم يعرها انتباهًا ، فانتقلت إلى مرحلة أخرى ، فغلقت الأبواب ، ثم انتقلت إلى أسلوب التصريح المباشر ، ودعت يوسف ، عليه السلام ، إلى نفسها دعوة صريحة ، فقالت : ﴿ هيت لك ﴾ ؛ أي تهيأت لك ، فقابل يوسف ، عليه السلام ، ذلك منها بموقف واضح قوي ، فقال : ﴿ معاذ الله ﴾ .

من المناسب أن نتذكر ذلك جيدًا ونحن نقف وقفتنا الآن ، والتي ستكون - بعون الله - مع قوله تعالى : ﴿ ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] .

يرى بعض المفسرين أن المرأة عندما أسقط في يدها ولم يستجب لها يوسف ، عليه السلام ، همَّت لتنال منه ما أرادت عُنوة ، وهمَّ يوسف بدفعها ، ويرى البعض الآخر أنها همَّت بضربه انتقامًا لكبريائها المهدر ، وكرامتها المجروحة ، وهمَّ هو بضربها دفاعًا عن نفسه ، لكنه رأى أن الأولى أن يهرب منها ففعل ، وهناك من يرى أن الهمَّ كان منها فقط ، أما يوسف ، عليه السلام ، فلم يهم ؛ لأنه رأى برهان ربه على تقدير حذف جواب لولا ، فيكون التقدير : « لولا أن رأى برهان ربه لهم بها » ، لكنه

رآه فلم يحدث منه هم أصلاً .

لكن جمهور المفسرين يثبت للمرأة همًّا ، وليوسف عليه السلام همًّا ، كما صرحت بذلك الآية : ﴿ ولقد همت به وهمَّ بها ﴾ ، لكنهم يفرقون بين همها وهمه ، فقد كان همُّه خطرات نفس ، فتركه لله ، فأثابه الله عليه . أما همُّها فكان إصرارًا بذلت معه جهدها فلم يستو الهمان ، وهذا واضح من السياق القرآني ، فقد فرَّق الله بين الهمين ، فهي راودت ، وغلقت الأبواب وقلت : هيت لك ، وهو قال : ﴿ معاذ الله ﴾ ؛ ولذلك قال الله تعالى : ﴿ ولقد همت به وهم بها .. ﴾ لاحظ كيف استخدم السياق الكريم أدوات التوكيد والتحقيق مع همها ، ولم يستخدم شيئًا من ذلك مع همه ، فالهم همان : هم إصرار وعزيمة ، وهمّ خطرات ، فكان نصيبه الخطرات ، وكان نصيبها الإصرار .

قال الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله : (الهمُّ همان : هم خطرات ، وهمُّ إصرار ، وهم الخطرات لا يؤاخذ الله به ، وهم الإصرار يؤاخذ به) .

والأدلة على ذلك متواترة في الكتاب والسنة ، نذكر منها ما رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم من حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » .

ويرجِّح شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، رأي جمهور المفسرين وكذلك ابن القيم ، رحمه الله ، ويرى أن ذلك الذي يليق بفحولة يوسف ، عليه السلام ، كما يرى أن ذلك ابتلاء بمخالفة دواعي النفس والطبع ، وهو من أشد البلاء ، ولا يصبر عليه إلا الصديقون ، وإليك نص كلام ابن القيم ، رحمه الله ، من كتاب « طريق الهجرتين » بتصرف بسيط :

(ولهذا كان بين ابتلاء يوسف الصديق بما فعل به إخوته من الأذى والإلقاء في الجب ، وبيعه بيع العبيد ، والتفريق بينه وبين أبيه - كان بين ذلك كله - وابتلائه بمراودة المرأة فرق عظيم لا يعرفه إلا من عرف مراتب البلاء ، فهو - أي يوسف ، عليه السلام - شاب عزبٌ غريب بمنزلة العبد لها ، وهي الداعية إلى ذلك ، وإن الشباب داع إلى الشهوة ، والشاب قد يستحي من أهله ومعارفه من قضاء وطره ، فإذا صار في دار الغربة زال الاستحياء والاحتشام ، وإذا كان عزبًا كان أشد لشهوته ، وإذا كانت المرأة هي الطالبة كان أشد لشهوته ، وإذا كانت جميلة كان أعظم ، فإن كانت ذات منصب كان أقوى ، فإن كان ذلك في دارها وتحت حكمها ، بحيث لا يخاف الفضيحة ولا الشهرة كان أبلغ ، فإن استوثقت بتغليق الأبواب والاحتفاظ من الداخل كان أقوى أيضًا ، فإن لرجل كمملوكها وهي كالحاكمة عليه الآمرة الناهية كان أبلغ في الداعي ، فإذا كانت المرأة قد امتلأ قلبها حبًا للرجل ، فهذا الابتلاء الذي صبر معه مثل الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا ريب أن هذا من جنس ابتلاء الخليل بذبح ولده ، إذ كلاهما ابتلاء بمخالفة الطبع ودواعي النفس والشهوة ومفارقة حكم طبعه) اهـ .

ويعلل ابن القيم كلامه ذلك في موضع آخر مبينًا أن الابتلاء بمخالفة دواعي النفس والطبع يتوقف على قوة الإيمان ، أما الابتلاء الذي يجري على العبد بغير اختياره كالمرض والجوع والعطش ونحوها فهو فوق وقوعه على المرء بغير اختياره قد يقع الصبر عليه من البار والفاجر ، أما الابتلاء بمخالفة المرء لنفسه وطبعه فهو يقع منه اختيارًا ، ومن أجل ذلك كان صالحو البشر أفضل من الملائكة : لأن الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب دواعي النفس والشهوات .

وأما عبادات البشر فمع منازعات النفوس وقمع الشهوات ومخالفة دواعي النفس والطبع فكانت أكمل . وبلغ هذا الموقف من الكمال مبلغًا عظيمًا في

موقف يوسف ، عليه السلام ، من امرأة العزيز ، وكان له أسوة في أبيه الأول إبراهيم ، عليه السلام ، ولا يكون هذا ليوسف إلا على رأي جمهور المفسرين ، ومن هنا فالذين ينفون عن يوسف مطلق الهم يسلبون الصديق هذه المنزلة العظيمة التي وقعت له بمخالفته دواعي النفس والطبع ، وكذلك الذين يقولون : إنه هم بضربها .

أما الذين أثبتوا ليوسف همًّا مشابهًا لهم المرأة فهؤلاء لم يفطنوا لأسلوب القرآن وسياقه السابق واللاحق الذي يؤكد براءة يوسف ، عليه السلام ، من مشابهة المرأة في همها بأي حال من الأحوال ، وإليك أخي القارئ ذلك :

١- قوله : ﴿ معاذ الله ﴾ ؛ فهذا يوسف ، عليه السلام ، لحظة الفتنة وفي عنفوانها كان قوله : ﴿ معاذ الله ﴾ بعد أن دعته هي لنفسها دعوة صريحة .

٢- شهادة المرأة نفسها ، حيث قالت : ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ [يوسف : ٣٢] .

٣- اعتراف الشاهد في قوله تعالى : ﴿ وشهد شاهدٌ من أهلها إن كان قميصه قُدَّ من قُبلٍ فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ الآية [يوسف : ٢٦] .

٤- وشهادة زوج المرأة (العزيز) إذ قال لزوجه : ﴿ واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ [يوسف : ٢٩] ، بينما قال ليوسف : ﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ [يوسف : ٢٩] .

٥- وقد شهد إبليس ليوسف مع من شهد له ، وذلك مفهوم من قوله الذي حكاه الله عنه في قوله سبحانه : ﴿ قال ربِّ بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأُغوينهم أجمعين ۞ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [الحجر : ٣٩، ٤٠] .

٦- وهنا نأتي لأكبر شهادة وأشرف شهادة وأعظم شهادة ، وهي تكفي عن غيرها ، وهي شهادة الله رب العالمين في الآية التي معنا في هذه الحلقة ، وهي قوله تعالى عن يوسف : ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾

فهذه أولاً : شهادة الله .

ثانيًا : هي شهادة مؤكدة بأدوات التوكيد .

ثالثًا : مؤكدة بالمعنى ، حيث أثبت ليوسف ، عليه السلام ، خصوص العبودية في قوله سبحانه : ﴿ من عبادنا ﴾ .

رابعًا : التصريح باللفظ الواضح والوصف الصريح قوله : ﴿ المخلَصين ﴾ ، و﴿ المخلصين ﴾ تأتي بكسر اللام إشارة إلى إخلاص المخلص بفعله ، فهي اسم فاعل ، وتأتي بفتح اللام ، فتكون اسم مفعول ، فهي تدل على وقوع الاصطفاء عليه ، وجاء هنا بالفتح إشارة إلى اصطفاء الله ليوسف ، فهل بعد ذلك قول لقائل .

وخلاصة القول : أنه رغم كثرة الدواعي التي أحاطت به من داخل نفسه ومن خارجها ، فإنه صبر على الابتلاء باختياره ، واستعصم واستعاذ بالله ، واستعان به في صرف السوء والفحشاء عن نفسه ، وهذا هو البرهان الذي رآه يوسف ، عليه السلام . في قوله تعالى : ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ ، ذلك أن يوسف ، عليه السلام ، من قبل آتاه الله العلم والحكمة ، حيث قال سبحانه : ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين ﴾ [يوسف : ٢٢] ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في اللقاء السابق ، ولا بد من ربط المواقف بعضها إلى بعض ، وتذكرها جيدًا ، وبذلك لن نختلف على البرهان الذي آتاه الله يوسف ، عليه السلام ، كما أننا لم نختلف أنه من الصديقين ومن المخلصين ومن المحسنين ، وأنه الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، جعلني الله وإياكم من المتأسين بإبراهيم أبي الأنبياء ، وحشرنا على ملته التي بُعث عليها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى لقاء - إن شاء الله - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نداء إلى الهيئات والمؤسسات الخيرية
وإلى أصحاب القلوب الرحيمة في العالم الإسلامي :

الصعوبات التي تهدد مستقبل ٢٠٠ طالب إندونيسي في الأزهر

نشرت جريدة الشرق الأوسط هذا الخبر المؤلم في ١٩٩٨/٣/٩ م بعنوان (نصرة عاجلة مطلوبة لأبناء إندونيسيًا) :

الإشكال الثاني : محزن وموجع أيضا ويتطلب تصرفًا سريعًا من المجتمع الإسلامي ، ذلك أن الجميع يعرفون أخبار الهزات الاقتصادية العنيفة في دول الشرق الأقصى التي كانت إندونيسيا في مقدمة ضحاياها ، لكن ما لا يعرفه كثيرون أن الحكومة الإندونيسية اتخذت إجراءات اقتصادية عدة لمواجهة الأزمة ، كان بينها منع تحويل الأموال من داخل إندونيسيا إلى خارجها ، الأمر الذي ترتب عليه انقطاع الموارد المعيشية للطلاب خاصة ، الذين كانوا يعتمدون على ما يرسل إليهم من أموال من حكومة بلادهم أو من ذنوبهم .

هذا الإشكال يواجهه الآن آلفان من الطلاب الإندونيسيين الذين يدرسون في الأزهر الشريف بمصر ، حتى أصبحوا مخيرين بين أمرين لا ثالث لهما : إما أن يقطعوا دراستهم ويعودوا إلى بلادهم ، وينقطع بالتالي كل ما كان معلقًا عليهم من أمل في الدفاع عن الإسلام وتبليغ الناس به ، وأما أن يواصلوا الدراسة في ظل الظروف المستحيلة التي فرضت عليهم بعد انقطاع مواردهم المالية .

لقد سافر البعض فعلاً وبقي الألفان وهم خليط من الشبان والفتيان ، يعانون شظف العيش ويحاولون مواصلة الدراسة بكل السبل ، واستحي أن أقول : أن بعضهم يتسول الآن في بعض ضواحي القاهرة ، وأن آخرين يطرقون أبواب أناس لا يعرفونهم لكي يطعموهم بعد أن عضهم الجوع .

فوجئ كثيرون بالمشهد المحزون ، وحين علم شيخ الأزهر سارع بتقديم مائة ألف جنيه مصري (٣٠ ألف دولار) لإعاشتهم وإعانتهم ، وقدم وزير الأوقاف المصري مبلغًا مماثلا ، لكن ذلك قد يعينهم على الاستمرار لمدة شهر أو اثنين ، والأمر المؤكد أنهم سيواجهون المأزق الحاد بعد ذلك .

حين عرفت بالقصة قلت : لماذا لا تتحرك جهة ما في العالم العربي وتتبنى قضية أولئك الطلاب الذين يعيشون مأساة الجوع والذل الآن .

إنّ بعض القادرين يستطيعون أن يتكفلوا بهم ، والخيرون منهم كثيرون ، ولهم سوابق مشهودة في هذا المجال ، وإنني على ثقة من أنهم سوف يتحركون حينما يحاطون علمًا بما جرى كذلك ، فإن بعض الجامعات الإسلامية في العالم العربي تستطيع أن تستوعب أعداد منهم لكي يكملوا دراستهم في صفوفها ، ولا أعرف هل بوسع رابطة الجامعات الإسلامية أو هيئات الإغاثة الإسلامية أن تفعل شيئًا في هذا الصدد أم لا ؟ لكن الذي افهمه أننا ينبغي ألا نتركهم يتضورون جوعًا أو يتسولون ، علمًا بأن السفارة الإندونيسية في القاهرة مستعدة للتعاون مع كل من يفكر في التدخل لإنقاذ مصير أولئك الطلاب ، ألا قد بلغت .. اللهم فاشهد .

أ / فهمي هويدي

الشرق الأوسط ١٩٩٨/٣/٩م

التوحيد :

نناشد جميع المسلمين حكامًا ومحكومين أن يهبوا لنجدة وإنقاذ أبناء الأزهر الشريف قلعة العلم والعلماء من هذه المأساة . والله الموفق لكل خير .

من أمراض القلوب
الرياء

احمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

● إن الرياء – إخوة لإسلام – مرض خطير من أمراض القلوب لكثيرة التي بحاجة إلى علاج دائم ويقظة مستمرة . والرياء أخطر أمراض القلوب ، وهو من الأوبئة الأخلاقية الضارة ، وهو مأخوذ من الرؤيا ؛ لأن المرائي يُري الناس فعله الخير ليثنوا عليه ويحمدوه ويأمنوه فيستولي بذلك على قلوبهم : فيكون له سلطان عليهم يصل به إلى لذته ويستعين به على تحصيل شهواته .

بقلم
سمير عبدالعزيز محمد

قال تعالى ناهيًا عن الرياء : { يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي يُنفق ماله رئاء الناس } [البقرة : ٢٦٤]

قال ابن كثير : لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله ، وإنما قصد مدح الناس أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال : إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية ، ثم ضرب مثلاً لذلك المرائي ، وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله ، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب . اهـ باختصار .

وقال تعالى في وصف حال المنافقين : { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون اللَّه إلا قليلاً } [النساء : ١٤٢] ، وقال ابن كثير أيضًا : أي لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله ، إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة ، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يُرون فيها غالبًا كصلاة العشاء "والعتمة" ، وصلاة الصبح ، وقت الغلس . اهـ

وقد بوب مسلم ، رحمه اللَّه ، في الإمارة من حديث أبي هريرة : ((من قاتل للرياء والسمعة استحق النار)) . وعن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : ((إن أول من يقضى يوم القيامة عليه ؛ رجل استشهد فأُتِيَ به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ،

▪ الرياء مرض خطير من أمراض القلوب التي بحاجة إلى علاج دائم ويقظة مستمرة وهو من الأوبئة الأخلاقية الضارة ·

▪حمد الناس للعبد على عمل الخير دون قصد منه لا يعد من الرياء·

ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارئ ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجل وسع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أن أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي في النار)) .

إن هذا الحديث – إخوة الإسلام – عمدة في هذا الباب ، وهو حديث يكاد ينخلع له القلب ، وكان حقا على كل من قرأ هذا الحديث أن يقف أمامه وقفة معاتبة ومحاسبة ، ويسأل نفسه سؤالا مهما قبل أن يقدم على العمل : لم ؟ وكيف ؟ فإن كان الجواب : لله ، وعلى الكتاب والسنة فليتوكل على الله ، وإلا فليرح نفسه من عناء هذا العمل .

قال النووي ، رحمه الله ، في هذا الحديث : وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته ، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء } [البينة : ٥] ، وقد قيل في قوله تعالى : { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون } [الزمر : ٤٧] قيل : كانوا عملوا أعمالا كانوا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات ، وقال تعالى آمرا نبيه أن يقول : { قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا } [الكهف : ١١٠] ؛ أي قل لهم يا محمد : ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء ، بل كل ذلك لله وحده لا شريك له أوحاه إلي ، فمن كان يخاف لقاء ربه فليعمل العمل الصالح لا رياء فيه ولا

سمعة ، وهذا عموم يتناول الجميع .

قال ابن القيم : كما أن الله واحد لا إله سواه ، فكذلك العبادة ينبغي أن تكون له وحده لا شريك له ، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية ، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة .

وفي الحديث الذي رواه البخاري وغيره : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من سمع سمع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به)) . هذا نتيجة الرياء ؛ ذلة وهوان وصغار .

قال الخطابي : من عمل عملا على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره ويفضحه ، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك . اهـ .

والرياء هو الشرك الأصغر ، وهو الشرك الخفي ، قال صلى الله عليه وسلم : ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر : الرياء ، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)) . رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

والرياء - إخوة الإسلام - يحرم العبد ثواب الآخرة ، قال صلى الله عليه وسلم : ((بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب)) . أخرجه الحاكم وغيره ، وسنده صحيح .

أنواع الرياء

١- الرياء في العبادات ؛ كالفرائض والنوافل ، وغير ذلك .

٢- الرياء في العقائد ؛ كإظهار خلاف ما يبطن .

٣- التحدث بالأعمال بعد وقوعها على سبيل الرياء والسمعة .

٤- الرياء بالهيئة والزي على سبيل العجب والكبر والتبختر ؛ كالزهاد والمتصوفة وأصحاب الدنيا .

أسباب الرياء

١- حب الحمد ولذته .

٢- الفرار من الذم .

٣- الطمع فيما في أيدي الناس .

٤- طلب الجاه والولاية والسلطان .

٥- طلب العلو والرفعة بالعلم مع دخول الرياء وتعلم العلم لغير الله والتسرع في الفتوى ، وغير ذلك .

أقوال في الرياء

قال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : للمرائي ثلاث علامات : (أن يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان في الناس ، ويزيد في العمل إذا أثني عليه الناس ، وينقص إذا ذم) .

وروي أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، نظر إلى رجل وهو يطأطئ رقبته في الصلاة ، فقال : (يا صاحب الرقبة ، ارفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب ، وإنما الخشوع في

القلب) .

قال الحسن : (المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه ، وهو رجل سوء يريد أن يقول للناس هو صالح ، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الازدراء ، فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه) .

وقال الفضيل : (ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك اللَّه منهما) .

أمور لا تعد من الرياء

١- حمد الناس للعبد على عمل الخير دون قصد منه يدخل فيه بإخلاص ويخرج منه بإخلاص فأطلع اللَّه الناس عليه فحمدوه والعبد لا يحب ذلك فيُسر بصنع اللَّه ، لا يعد من الرياء وهي عاجل بشرى المؤمن .

٢- نشاط العبد في عمل الخير عند رؤية أهل الصلاح ، فليس من الرياء .

٣- كتمان الذنوب والأعمال لا يعد من الرياء ، وكذلك إظهار شعائر الإسلام مع الإخلاص لا يعد رياءً .

٤- أن يكون الرجل نظيفًا في ثيابه ونعله ويحب ذلك ، فليس من الرياء .

علاج الرياء

١- معرفة أنواع التوحيد التي تتضمن عظمة الرب : { أليس اللَّه بكاف عبده } [الزمر : ٣٦] ، وليعلم العبد أن الأمر كله للَّه فى الدنيا والآخرة ، والعالم كله أعجز من أن يدفع أجلاً أو يكثر رزقًا ، وكما علم النبي صلى اللَّه عليه وسلم عبد اللَّه بن عباس : ((.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك ..)) . والحديث صحيح .

٢- كتمان العمل إذا خاف على نفسه الرياء ، والأدلة على ذلك كثيرة كإخفاء الصدقات والصلاة بالليل والناس نيام .

قال محمد بن المبارك : أظهر السَّمت بالليل ، فإنه أشرف من إظهاره بالنهار ؛ لأن السمت بالنهار للمخلوقين والسمت بالليل لرب العالمين ، وكما رأى أبو أمامة الباهلي رجلاً يبكي في المسجد وهو ساجد ويدعو قال له : أنت أنت لو كان هذا في بيتك .

٣- وعلى العبد أن يخلص العمل ولا يكترث بذم الناس ومدحهم .

٤- وعليه أن يخاف من الرياء ؛ لأنه مناف للتوحيد ، وأنه محبط للعمل ، ويفر من ذم اللَّه تبارك وتعالى .

٥- وعليه بكثرة الدعاء للَّه عز وجل بأن يرزقه الإخلاص في القول والعمل ويجنبه الرياء ؛ لأن اللَّه يحب العبد التقي النقي الخفي .

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وجنبنا الرياء والسمعة . وصلى اللَّه وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حــــــول ذكـرى الهجـــرة

فضيلة الشيخ / محمد خليل هراس (رحمه الله)

كلما أهل هلال المحرم من كل عام وبزغت في الكون غرته الميمونة عاودت نفوس المسلمين تلك الذكرى الخالدة على الزمن ، ذكرى هجرة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه هو وأصحابه من مكة إلى المدينة ، ومثلت في خواطرهم تلك الصورة الحية المشرقة التي حفظها التاريخ لهذا الحادث العظيم ، وما احتوته تلك الصورة من ألوان البطولة الرائعة والشجاعة الحقة والتضحية الباهرة التي تجلت في أعمال أولئك النفر من المهاجرين حين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله .

وليس عجيبًا أن يكون لحادث الهجرة تلك الأهمية الخاصة التي امتاز بها على غيره من أحداث الإسلام الكبرى حتى اختير من بينها ليكون مبدأ للتاريخ الإسلامي ، فإن ما تضمنه هذا الحادث من العبر والعظات ، وما تجلى فيه من معاني الرجولة والثبات وكريم التضحيات وما اكتنفه من الظروف والملابسات ، وما ترتب عليه من جلائل الآثار وعظيم الأخطار ، كل ذلك جدير أن يجعله في الطليعة بين الأحداث العالمية الكبرى التي غيرت وجه التاريخ ، وحولت مجرى الحياة البشرية ، ودرسا خالدا ينتفع به المسلم وغير المسلم ، وعبرة ماثلة في جميع الأجيال والعصور يتأسى بها كل من يتصدون للدعوة إلى الإصلاح حتى يصلوا بأممهم إلى ما يبغون لها من خير وفلاح .

إننا لا نستطيع أن نقدر تلك الهجرة قدرها إلا إذا صورنا لأنفسنا ما كانت تعانيه دعوة الحق فى مكة من بطش الباطل ومكره ، فقد ضيق عليها الخناق ، وحال بينها وبين أن تبلغ القلوب والأسماع ، فكانت هي السبيل لخلاص الحق من أسر الباطل وخروجه إلى ذلك المتنفس الذي استطاع أن ينساب منه إلى أنحاء الدنيا الكافرة الحائرة ، فينقذها من ضلالها ، ويرشدها من حيرتها ، ويرسم لها طريق السعادة والنجاة .

كانت الهجرة مرحلة حاسمة من مراحل الدعوة الإسلامية ، أو بالأحرى كانت فاصلاً بين عهدين متمايزين غاية التمايز : عهد كان فيه المسلمون بمكة قليلا مستضعفين في الأرض يخافون ان يتخطفهم الناس ، كانوا يؤذون فيصبرون ، ويظلمون فيغفرون ، وكان بعضهم إذا اشتد به الأذى ولم يطق صبرا على ظلم قومه له خرج إلى الحبشة مهاجرا ، ولم يكن المسلمون في هذه الفترة من القوة والكثرة بحيث يستطيعون أن يقابلوا العدوان بمثله ، وكان منهم من

يود لو أذن له في القتال ، ولكن القرآن كان ينزل آمرا لهم بالعفو والصفح ، حتى يأتي الله بأمره ، فلما كانت الهجرة انبثق فجر عهد جديد ، ووجد المهاجرون في مهاجرهم الجديد مراغما كثيرا وسعة ؛ إخوانا من الأنصار ذوي عدة ومنعة ، فقويت بذلك شوكة الإسلام ، وأصبح مستعدًا لمنازلة الشرك ومجالدته بالسيف ، فما أن التقى به في غزوة بدر الكبرى حتى ضربه تلك الضربة الهائلة التي أذلته وأطاحت بكثير من رءوسه ، ثم كانت غزوات أخرى انتهت بذلك الفتح المبين والنصر المؤزر ، ودخل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مكة البلد الحرام يعلن نهاية الشرك ويقرأ : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ [الإسراء : ٨١] . ثم بدأت وفود القبائل بعد ذلك تفد من أنحاء الجزيرة تعلن إسلامها وانضواءها تحت لواء الدعوة الجديدة ، وكانت الهجرة هي الباب الذي دخل منه المسلمون إلى حياة العز والكرامة والحرية والقوة .

إن الناظر المتأمل في حادث الهجرة العظيم ليجد فيه من العبر ومن كريم المعاني ما يجب أن يكون أسوة حسنة للمسلمين ، ودرسا ماثلا في أذهانهم يتعلمون منه كيف يكون الثبات على دعوة الحق مهما اشتدت الفتنة وعظمت المحنة . فلقد أُوذي المسلمون بمكة وزلزلوا زلزالا شديدا ، وأجلبت عليهم قريش بخيلها ورجلها . وسلكت كل سبيل لفتنتهم وردهم عن دينهم . فلم تر منهم إلا الثبات الذي لا يعرف التردد والعزيمة التي لا تقبل النكوص . حتى مات بعضهم تحت سياط العذاب . فما جزعوا لذلك . ولا حملهم على الرجوع عن معتقدهم . ولما أمروا بالهجرة وفيها ما فيها من فراق الأهل والولد والمال والعشيرة والديار الحبيبة . وكلها أمور تضن بها النفس وتحرص عليها حرصها على الحياة لم يقعدهم ذلك عن الهجرة ولا صرفهم عن تنفيذ ما أُمروا به ، بل آثروا حب الله ورسوله والجهاد في سبيله على كل ما هنالك من رغبات النفوس وعلائقها ، حتى لقد كان الواحد منهم يتعرض له ابنه أو أبوه أو زوجته يريدون تثبيطه عن الهجرة فلا يلتفت إليهم ولا يأبه لتوسلاتهم .

ولا ننسى - ونحن نتكلم عن الهجرة - ذلك الموقف الرائع الذي وقفه الأنصار من إخوانهم المهاجرين ، فقد آووهم وواسوهم وأكرموا وفادتهم ، وآثروهم على أنفسهم مع ما بهم من خصاصة ، حتى أزالوا من نفوسهم ألم الاغتراب ، وأشعروهم أنهم في ديارهم وبين أهليهم .

فهل آن للمسلمين أن يحسنوا الاقتداء بأسلافهم في هذه الأعمال المجيدة وقد تألبت عليهم دول البغي والاستعمار ، تمعن في إذلالهم وتفنن في الكيد لهم وتوسعهم في ديارهم قتلا وتنكيلا .

هل آن لهم أن يحققوا فيما بينهم تلك الأخوة الرحيمة التي انتصر بها أسلافهم ، وأن يسترخصوا أنفسهم وكل عزيز لديهم في سبيل عزة الإسلام ونصره ، وأن يستهينوا في سبيل تلك الغاية الكريمة بكل ما يصيبهم من ألم وجهد إنهم إن فعلوا ذلك كانوا صادقين في احتفالهم بالهجرة ، وكان لهم في رسول الله وصحابته أسوة حسنة .

أما تلك الاحتفالات الهزيلة العقيمة التي لا تتجاوز إلقاء الخطب وكتابة المقالات ولا تدفع إلى العمل الجدي في سبيل استرداد الأمجاد الإسلامية الضائعة فأجدر بها أن لا تكون .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الصوفية بغير قناع

بقلم الشيخ :
مصطفى درويش

« هو سماكم المسلمين » لا المتصوفين

جريدة الدستور الأربعاء ٢٥ يونيه ١٩٩٧ م صدر في الصفحة الأولى : (دراسة خطيرة : الصوفية علمت ٦ ملايين مصري الخضوع والنفاق) ، ونحن نقدم الدليل :

أولاً : الصوفية هي التي جعلت الناس يشاركون مع عبوديتهم للَّه عبوديتهم للأنصاب والمقاصير والأوثان التي أطلقوا على بعضها أسماء أهل البيت زورًا وعدوانًا ليكسبوها القداسة والتبجيل في نظر الناس ، وليس تحت أنصاب الصوفية شيء ، وإلا فما هذا الذي يحدث عند معبد البدوي بطنطا الذي جعلوا له حجًا وسعيًا وطوافًا وحجرًا أسود ادعوا زورًا أن قدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم مطبوع عليه .

وكل ذلك يضاهئون به بيت اللَّه الحرام والحجر الأسود في الكعبة ، يريدون بذلك صرف الناس عن الحق إلى الباطل ، بل وأكثر من ذلك ألف أحد كهنة معبد البدوي بطنطا كتابًا ذكر فيه أن البدوي يعلم السر وأخفى من السر ، وأن ولي الصوفية أمر أحد أتباعه فسار خلف الإنجليز في طنطا ، وقال لهم في سره بدون رفع صوت : اخرجوا من بلادنا .. فخرجوا !! وما يحدث في معبد البدوي يحدث في معبد الحسين والسيدة زينب الثالثة الأخرى ، ونحن نبرأ أهل البيت من الصوفية ومعتقداتهم الفاسدة تمامًا ، كما نبرأ عيسى ابن مريم وأمه ، عليهما السلام ، مما فعله بهم النصارى .

والعجيب أن الصوفية هي التي أطلقت على البدوي ((العطاب)) ، و((ندهة المنضام)) ، و((جياب

الأسرى)) ؛ أي أنه لا داعي لإعداد الجيوش والقتال والحروب ، يكفي أن البدوي هو الذي يجلب الأسرى !!

وعندما تجعل الصوفية عبودية الناس لهذه الحجارة والنصب والمقاصير والأسماء الوهمية وغير الوهمية ، فإنها تكوّن جيلاً يتربى على الذل والخضوع لغير اللّه .

وكلامنا هذا لا يعني أننا نبخس شأن أولياء اللّه ، إنما في الواقع نبخس شأن ما أُلصق بالأولياء – إن كانوا أولياء – والقرآن لم يبخس شأن المسيح عندما قال تعالى : { قل فمن يملك من اللّه شيئًا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا } [المائدة : ١٧] .

والحسين ليس في القاهرة ، إنما في القاهرة نصب من معدن وكسوة أطلق عليها الحسين ، وهذا النصب وثن يعبد من دون اللّه أو يشرك مع اللّه ، وقد تعاون التشيع ، وهو توأم التصوف على وضع مقصورة ذهبية للحسين وليس لهما من هدف إلا القضاء على دين اللّه الحق ، ولو كان الدين الشيعي الصوفي احتفظ لنفسه بحق التأليف ، لكان خطره أقل ، ولكنه ألصق نفسه بالإسلام ، تمامًا كما ألصقت الجاهلية الأولى نفسها بملة إبراهيم .

واستطاع الفكر الصوفي أن يستقطب أقطابًا كبارًا أصحاب مناصب دينية خطيرة ليغطي نفسه أمام عامة الناس ، وانساق وراءه البعض نفاقًا ، والبعض تلونًا ، والبعض لسان حاله يقول : (إن كان الحق يثير عليك العامة فاكتمه) .

وإذا أردت حقيقة أن تعرف من الذي يُعبد في معبد البدوي بطنطا ، فعليك في مولده بإحصاء عدد الداخلين تلبية لنداء حي على الصلاة من عدد الحاضرين للتمسح والتبرك بوثن البدوي.

والجميع يضربون عرض الحائط بقوله تعالى : { وأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحدًا } [الجن : ١٨] ، وقوله : { ادعوني أستجب لكم } [غافر : ٦٠] ، وقوله : { أليس اللّه بكاف عبده } [الزمر : ٣٦] .

والعجيب أنك لو وقفت تتلو هذه الآيات والأحاديث التي تنهى عن بناء المساجد على القبور وكسوتها واتخاذها أعيادًا ، قد يصل الأمر إلى الاعتداء عليك حتى الموت دفاعًا عن البدوي !!

ويعتبرونها من كرامات البدوي ، ويعتبرون المسجد بدون البدوي لا قيمة له ، أو قيمته أقل بكثير ، كأن البدوي ، وليس اللّه هو الذي خلع القداسة على المكان !!

الصوفية هي التي جعلت الناس يشاركون مع عبوديتهم للّه عبوديتهم للأنصاب والمقاصير والأوثان التي أطلقوا على بعضها أسماء أهل البيت زورًا ليكسبوها القداسة والتبجيل في نظر الناس

وما الذي ننتظره من شعب يؤمن أن السيدة زينب غفيرة مصر ، والبدوي جياب الأسرى ، وأبو الدرداء حول الطوربيد الألماني في الإسكندرية وقارنوا بين الأمة قبل ظهور هذا الإفك الصوفي وبين حالها عندما ظهر هذا الإفك اللعين .

والعجيب أن الأقطاب الكبار على انفراد لهم رأي ، وأمام العامة لهم رأي ، والذي يعمل منهم في السعودية له رأي هناك ، ورأي آخر هنا في مصر ، إنه سحر الدنيا الذي يؤدي إلى التلون وبيع الآخرة ، ورحم الله الشيخ شلتوت الذي كان صريحًا وهو يذيع حكم الدين على الدنيا كلها .

وأنصح أهل السنة ألا يكون أكبر همهم هو الأيتام والمستوصفات الطبية ودور الحضانة وبناء المساجد ، فنحن لا يمكن أن نغلب أهل الأديان الأخرى في هذا المجال ، ويجب أن يكون أكبر همهم نشر التوحيد ومواجهة هذه الوثنية التي هي أشد خطرًا من الوثنية الأولى ؛ لأنها ألصقت نفسها بالإسلام وراحت تنسب نفسها إليه ، وهل أقيمت موالد لأمهات المؤمنين والخلفاء الراشدين ؟

ثانيًا : والصوفية هي التي علمت الملايين الخضوع والنفاق وهذا هو الدليل :

١- جاء في كتاب ((الاستعمار الفرنسي في إفريقيا السوداء)) لفليب فونداي (ص٥٢) : لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في إفريقيا إلى تنشيط الطرق الصوفية ؛ لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهمًا .

٢- من كتاب ((تاريخ العرب الحديث والمعاصر)) تحت عنوان : (المتعاونون مع فرنسا في الجزائر) (ص٣٣٣) : ومنهم أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال واستخدمهم الاستعمار كجواسيس .

٣- تفسير الشيخ طنطاوي (ص ١٣٧، ١٣٨) : ذكر الفرنساويون في صحفهم أن رجال الطرق الصوفية جميعًا يتمتعون بالعيش الهنيء في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم ، فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم يكونون معنا .

٤- من كتاب ((المسألة الشرقية)) لمصطفى كامل : ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان أن رجلاً فرنساويًا دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي وعين إمامًا لمسجد كبير في القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنسيون من المدينة واستعد أهلها للدفاع عنها جاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في مسجد يعتقدون فيه ، فدخل الضريح ، ثم خرج مهولاً لهم بما سينالهم من المصائب ، وقال لهم : الولي ينصحكم بالتسليم ، وحدث مثل هذا عندما أغار الفرنجة على المنصورة .

٥- في أهرام ٧/٤/١٩٧٠ م كتب سفير السودان في القاهرة مقالا يحلل فيه السياسة البريطانية الاستعمارية في السودان فقال : إن البريطانيين الاستعماريين وضعوا سياسة تقوم على أساسين ؛ الأول : كبت الحركات الوطنية الدينية بكل عنف ، الثاني : إحياء الطرق الصوفية وإغداق الأموال على أهلها ، وخلع الألقاب والكساوي عليهم ، ولأن الثورة الوطنية في السودان اتخذت طابعا دينيا مستوحى من القرآن والسنة ، قام الإنجليز بإحياء الطرق الصوفية .

٥- جاء في كتاب ((القاديانية)) للدكتور محمد إسماعيل : وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تكشف التجارب الصوفية في كل من الهند وإيران عن ظهور نزعتين معاديتين للخط الإسلامي الصحيح ، وهما

القاديانية في الهند ، والبهائية في إيران ، واستخدمها الاستعمار لتحقيق مآربه .

٦- من كتاب ((نابليون بونابرت)) للأستاذ أحمد حافظ (ص١٥٣) وما بعدها : وفي سنة ١٨٨٢ م عندما دخل نابليون مصر استدعى الشيخ خليل البكري وقلده نقابة الأشراف ، وأعطاه (٣٠٠٠ ريال فرنسي) ، وأمره بإمامة الموالد وحفلاتها ، واستطاع نابليون تجنيد بعض مشايخ الطرق الصوفية لترويج اعتناقه للدين الإسلامي ، واستعان بهم لتثبيت أقدامه في مصر .

٧- يحكي المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في كتابه عن الثورة العرابية كيف أن الصوفية اندست بين جيش عرابي وإقامة حلقة ذكر حتى الفجر ، ثم ناموا بعد ليل طويل شاق ، فدخل الإنجليز في الفجر .

٨- في كتاب ((الجزائر العربية)) بيَّن المؤلف أن الاستعمار الفرنسي كان يشتري مشايخ الطرق الصوفية بالمال ليكونوا أدوات يخمد بها الثورات التحررية .

٩- وكتب أديب جزائري عن الحركة الأدبية في الجزائر ، أن رجال الطرق الصوفية شوهوا الدين وألبسوه لباساً مزرياً طبقاً لسياسية استعمارية قذرة .

١٠- يقول ألفونس رنييه في كتاب باللغة الفرنسية : البعض كتب أن البدوي كان جاسوساً ، وكان أفاكاً ، وكان من كبار دعاة الشرك والضلال .

وكل ذلك لا يعنينا في شيء ، ولا يغير من واقع ما يفعل به أن يكون غير ذلك ، فلو أن ما يفعل بنصب البدوي المدعى أنه قبره فعل بقبر نبي من الأنبياء ، فهو أيضاً شرك وكفر وإلحاد ؛ لأن في عبادة غير اللّه يتساوى عابد البقر مع عابد الملائكة ، ترى هل يمكن أن يكون أصحاب الدين الصوفي وما يفعلونه بالبدوي أحسن حالاً من أصحاب الدين النصراني وما فعلوه بعيسى ابن مريم وأمه .

والعجيب أن وزارة الأوقاف أصدرت في الماضي كتيباً بعنوان : ((تقاليد يجب أن تزول)) ، وقالت : إنه من وضع مجموعة من كبار علماء الوزارة ، وقالوا فيه : لا يحل ستر الأضرحة والنذر لها ، وإقامة الموالد ، وتمر الأيام ونطالع في الصحف تصريح وزارة الأوقاف بإقامة مولد سيدهم فلان وعلان .. وهكذا !!

يحرمونه عاماً ويحلونه عاماً !!

ويجب أن نفرق بين الثقافة والألقاب والشهادات والمناصب الرسمية وبين الإيمان الحقيقي والتوحيد المنزل من عند اللّه ، ودليل ذلك ما فعله الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه عن البدوي في مقدمة هذا الكتاب ، فقال : إن الإذن أتاه من المقصورة المباركة بأن يكتب فكتب ، وقال نفس الشيء عن أبي الحسن الشاذلي ، وكما ادعى الشيخ حجاب - وهو من نقباء البدوي - في كتابه عن حياة البدوي البرزخية أنه يعلم السر وأخفى من السر .

ونحن نقول : ليس للشهادات الدينية ولا المناصب سلطان على دين اللّه المُنَزَّل في الكتاب والسنة ، إنما السلطان لدين اللّه على الجميع .

ونقول : إن الذين وضعوا الأوثان في بيت اللّه الحرام لتكتسب قداسة مع البيت ، ونسبوا أنفسهم لدين إبراهيم ، هم الذين وضعوها في بيوت اللّه باسم الأولياء لخداع الناس ، ونسبوا أنفسهم لدين محمد صلى اللّه عليه وسلم ، ويجب أن يفعل بها بما فعله رسولنا صلى اللّه عليه وسلم عند فتح مكة .

وحسبنا اللّه ونعم الوكيل .

مصطفى درويش

ماجستير في الشريعة الإسلامية والقانون

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام

مجلة التوحيد

مسابقة التوحيد الكبرى

يسر مجلة التوحيد أن تقدم هذه المسابقة إلى المسلمين والمسلمات بجمهورية مصر العربية راجين من الله أن ينفعنا جميعا بها ، وأن يجعلها لكم ولنا في ميزان أعمالنا ، إنه سميع مجيب .

هذا ، وتتميز هذه المسابقة بسهولة الكثير من أسئلتها وقلة عددها وكثرة وضخامة جوائزها .

فعدد الجوائز : ١٠٠ مائة

١٠٠ جائزة

والفائزون الثلاثة الأوائل : حج وعمرة لكل منهم . والفائزون السبعة بعدهم : عمرة لكل منهم . ثم جوائز مالية ضخمة .

ثم قائمة بأسماء عدد كبير من الكتب والمجلدات يختار بقية الفائزين المائة (من ٢٦ : ١٠٠) خمسة كتب لكل فائز .

في العدد القادم بإذن الله :

الأسئلة - الشروط - الجوائز

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

مجلة التوحيد

بشرى للقراء الكرام

صدرت مجلدات مجلة التوحيد لعام ١٤١٨ هـ (تجليد ممتاز) . ثمن المجلد للأفراد : ١٥ جنيها (داخل مصر) ، (٢٠) دولارا أمريكيا خارج مصر . يمكنك الحصول على المجلدات من قسم التوزيع والاشتراكات بالمجلة مباشرة أو بإرسال حوالة بريدية بالقيمة المطلوبة .

مع تحيات قسم التوزيع والاشتركات .

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها :

١- الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب ، وإلى حب الله تعالى حبًا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه ، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا صحيحًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة .

* * *

٢- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور .

* * *

٣- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط : عقيدة وعملاً وخلقًا .

٤- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشروع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - متعدٍ عليه سبحانه ، منازع إياه في حقوقه .

تلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية مساء الأحد والأربعاء من كل أسبوع .

سواك مكة
متوفر بعدة نكهات منعشة
Sewak Makkah

سواك مكة

Sewak Makkah®

أجمل هدية لأغلى الأحباب

متوفر بعدة نكهات ومنعشة

متوفر بعدة نكهات ومنعشة

MINT FLAVOR

وكلاء التسويق في العالم مؤسسة يارا للتجارة والتسويق

المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف: ٢٣٢٦٣٣٦(١-٩٦٦-٠٠)-فاكس: ٢٣٠١٩٣٢(١-٩٦٦-٠٠) - ص. ب ٢٦٤٣٣ الرمز ١١٤٨٦